العلاقات الإيرانية – البريطانية فى سنوات الحرب العالمية الأولى

هبه عبد الرحيم عبد الرحمن سليمان (*)

مقدمة:

ازداد وزن إيران فى الصراع الدولى فى القرن التاسع عشر،وذلك نظرا لموقعها الإستراتيجى فى الجناح الشرقى من الشرق الأوسط،وكونها منفذ مهم إلى الخليج العربى وافغانستان ولا سيما الهند،واخيرا لأهميتها التجارية والاقتصادية على وجه العموم،فأصبحت إيران والحالة هذه تؤلف محورا اساسيا من محاور الصراع الدولى ،اقتصرت اطرافه فى البداية على روسيا وبريطانيا، ومن ثم توسعت حلقاته بسرعة لتشمل معظم الدول الكبرى بشكل او بآخر،فقد بدأت ايران تجذب انظار الغرب منذ أن اخذت الرأسمالية ترنو إلى الشرق الغنى الذى قلما يوجد جزء منه تغلغلت فيه مصالح الدول الكبرى بقدر إيران قبل الحرب العالمية الأولى،وكان من الطبيعى أن يترك ذلك آثارا مباشرة وكبيرة على واقع حياتها الأجتماعية والاقتصادية،فقد كانت إيران عشية الحرب العالمية الأولى تعانى من مشاكل اقتصادية جسيمة واضطراب سياسى مستفحل وتغلغل أجنبى له تاريخ حافل بالأحداث تركت بصمات واضحة على مجرى الأمور فى إيران خلال سنوات الحرب العالمية الأولى،وبخاصة النفوذ البريطانى والروسى.

ففى الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى كرست الدول الكبرى مجمل علاقاتها بإيران لخدمة مصالحها الحيوية،ولتثبيت اقدامها داخل البلاد نفسها أو فى المنطقة بأسرها،وبحكم عوامل محددة جاء أهتمام بريطانيا وروسيا بإيران اكثرمن أهتمام الدول الأروبية الآخرى بها،فمنذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر دخلت إيران فى حسابات بريطانيا دولة حاجزة بين روسيا القيصرية صاحبة الأطماع التقليدية فى المنطقة وممتلكاتها فى الشرق وبخاصة الهند ،وفى العهد النابليونى إزدادت أهمية إيران إلى درجة كبيرة فى نظر حكام

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: "العلاقات الإيرانية البريطانية في العصر القاجاري ودورها في سقوط الدولة القاجارية في ضوء الوثائق والمصادر الفارسية"، وتحت إشراف: أ.د/ شعبان ربيع محمد طرطور – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. أحمد رياض عز العرب – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

معظم الدول الكبرى،وإذا استثنينا بعض العلاقات التجارية فإن هدف علاقات بريطانيا بإيران قد تركز فى البداية حول محور الدفاع عن الحدود البرية للهند والممرات المائية ،ومع أزدياد أهمية النفط فى الغرب إزداد أهتمام الآوساط الحاكمة البريطانية بإيران بعد اكتشاف النفط فى الجنوب الإبرانى،وبسبب ضعف إيران تحقق للبريطانيين ما أرادوا بسرعة،إذ غدت بريطانيا الدولة الوحيدة المسيطرة على الثروة النفطية الإيرانية،ولم يكن اهتمام روسيا بإيران أقل من بريطانيا،فقد سعت إلى تحويلها إلى شبه مستعمرة تابعة لها،ذلك لأن روسيا غدت منذ آواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر تشترك مع إيران بحدود تقدر بأكثر من ٢٥٠٠ كيلو متر وهى تعد أطول حدود لروسيا الشاسعة المساحة مع دولة مجاورة بعد الصين،ثم أن إيران كانت تمثل اقصر مسافة يمكن لروسيا أن تجتازها للوصول إلى المياه الدافئة فى الخليج العربى،ولتلك الأسباب كانت دائما بريطانيا وروسيا فى تنافس وصراع حول إيران.

وبسبب موقع إيران الحساس فى الشرق الأوسط وتماسها مباشرة مع حدود دولتى مجابهة،هما الدولة العثمانية المنتمية إلى جبهة دول الوسط ،وروسيا المنتمية إلى جبهة الحلفاء لم تستطع إيران أن تبقى بعيدة عن آثار الحرب العالمية الأولى،فضلا عن واقعها السياسى المتمثل فى تحولها قبل الحرب إلى شبه مستعمرة تابعة لكل من بريطانيا وروسيا،وكان نظامها المهترىء اقتصاديا وسياسيا وعسكريا اعجز من أن يستطيع فرض حياد حقيقى،لذلك تحولت أرض إيران المحايدة إلى جزء اساسى من ميدان القتال فى الشرق الأوسط طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى،ومع الأشهر الأولى من الحرب تغير نمط الصراع التقليدى على الأرض الإيرانية،فقد تحول من صراع بين القوتين بريطانيا وروسيا أساسا إلى صراع بين كتلة الحلفاء من جهة وكتلة المحور من جهة أخرى،فكانت الاحداث تنذر بتحويل إيران إلى ميدان حقيقى من ميادين الحرب فى الشرق الأوسط،تدهورت على آثرها الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى إيران الى أقصى حد طيلة سنوات الحرب.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وانتصار جبهة الحلفاء،وسقوط النظام القيصري فى روسيا زادات تبعية إيران لبريطانيا وعجز النظام الإبرانى نفسه

عن الانعتاق من طوق التبعية لبريطانيا وفرض سياسة خارجية وطنية،الأمر الذى استمرت ظواهره جاثمة بعد انتهاء الحرب لفترة طويلة،خاصة وأن تلك الفترة كانت فترة مخاض عسيرة هيأت ظروفا أنسب لافول العهد القاجارى وظهور النظام البهلوى بتأثير قوى اجتماعية واقتصادية وسياسية داخلية،وبتأثير من بريطانيا أيضا ومن هنا جاءت أهمية البحث.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتى فى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة؛ وذلك على النحو التالى:

- مقدمة.
- المبحث الأول:

إيران فى الحرب العالمية الأولى.

- المبحث الثانى:

أثر الثورة الروسية علي العلاقات الايرانية – البريطانية.

- المبحث الثالث:

اوضاع إيران فى اعقاب الحرب العالمية الأولى وانعكاساتها على سياستها الخارجية.

- المبحث الرابع:

الموقف البريطانى من مسألة تمثيل إيران فى مؤتمر السلام.

- المبحث الخامس:

الإتفاقية البريطانية – الإيرانية عام ١٩١٩ م والموقف الإيرانى منها.

- الخاتمة.

المبحث الأول

إيران فى الحرب العالمية الأولى

كانت إيران عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى دولة مستقلة اسماً فالإتفاقية البريطانية الروسية عام ١٩٠٧م التى تخص إيران ماتزال تمثل الأساس لموقف الدولتين عند إندلاع الحرب، وكانت القوات الروسية التى دخلت إيران عام ١٩٠٩م مازالت باقية دون أن تنسحب من الأماكن التى احتلتها، كما أن سنوات المصاعب المالية وعدم الإستقرار والشقاق السياسى إلى جانب

التدخل الأجنبى جرد الحكم المركزى فى البلاد من معظم سلطاته، وكان الدستوريون يعتبرون الحكومة الإيرانية بمثابة دمية بريطانية أو روسية تحركها الدولتين كيفما شاءا.

ونظراً لموقع إيران الاستراتيجى، فقد تأثرت بأحداث الحرب العالمية الأولى، التى استسلمت بحلولها لمستقبل مظلم، نتيجة لمحاذاتها لحدود دولتين دخلتا ضمن المعسكرين المتحاربين وهما روسيا والدولة العثمانية،فضلاً عن أن إيران أصبحت آنذاك هدفاً واضحاً فى التنافس الدولى وضحية مناطق النفوذ التى حددتها معاهدة عام ١٩٠٧م، مما أدى إلى إصلائها بلهيب الحرب وسرعان ما تحولت إلى أحد ميادين القتال فى منطقة الشرق الأوسط.

وفى تلك الفترة وتحديداً فى الرابع عشر من يوليو عام ١٩١٤م، أى قبل بدء الحرب العالمية الأولى بثلاث أسابيع، قام "ناصر الملك" بتتويج الملك "أحمد شاه قاجار" الذى بلغ فى عام ١٩١٤م سن الرشد التى تؤهله لوضع التاج على رأسه ملكاً على عرش إيران(١)، ولكن الملك الشاب لم يثبت أى مقدرة وفاعلية فى إدارة شئون بلاده، قبل التتويج وبعده، بل كان ضعيفاً وغير قادر على مواجهة الأحداث، وقد وصفته إحدى الوثائق البريطانية على لسان وزير الخارجية اللورد "كيرزن" بقوله أنه" أجبن رجل فى إيران كلها"(٢)

ومع الأشهر الأولى من الحرب تغير نمط الصراع التقليدى على الأرض الإيرانية، فقد تحول من صراع بين القوتين بريطانيا وروسيا أساساً، إلى صراع بين كتلة الحلفاء بريطانيا وروسيا وفرنسا من جهة، وكتلة المحور ألمانيا والنمسا والمجر والدولة العثمانية من جهة أخرى، فكانت الأحداث تنذر بتحويل إيران إلى ميدان حقيقى من ميادين الحرب فى الشرق الأوسط، ومن أجل ذلك وفى محاولة من إيران لضمان استقلالها كما اعتقدت أعلنت حيادها فى فرمان

(١) عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى ايران، چاپخانه سپهر، تهران، ١٣٣٩، ص٣٢٧

(٢) مقتبس من: كمال مظهر أحمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث و المعاصر، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥ م،ص١١١

صدر فى ١ نوفمبر ١٩١٤م(١)، وأذيع فى اليوم التالى على لسان "أحمد شاه" فى حفل افتتاح دورة الإنعقاد الثالثة لمجلس الشورى الوطنى بقرار لم يشارك هو نفسه فى صنعه، فقد كان صانعوا القرار الحقيقيين هم عدد من القادة الدستوريين السابقين(٢)، وإثر إعلان الحياد أوصت الوزارة حكام الأقاليم بأن يمتنعوا عن مساعدة أى من الأطراف المتحاربة، ويرفضوا تلقى أية مساعدة منلها أو من وكلائها(٣).

كان رئيس الوزراء حينئذ الشخصية المعروفة بإتجاهاته الليبرالية " مستوفى الممالك" يساعده السياسيان المعروفان مشير الدولة ومؤتمن الملك، أجرى مستوفى الممالك إتصالات مستعجلة مع ممثلى الهيئات الدبلوماسية فى "طهران" لإبلاغها تبنى الحكومة الإيرانية سياسة الحياد، وذلك قبل إندلاع الأعمال الحربية فى شمال البلاد بين الروس والعثمانيين، ولقد اتصل "علاء السلطنة" وزير الخارجية الإيرانى بالسفير العثمانى " عاصم بيك" فى طهران مستوضحاً ما إذا كانت حكومته ستحترم حياد إيران أم لا، فكان جواب الباب العالى على لسان السفير المذكور مخيباً بالنسبة للإيرانيين، فقد صرح السفير بأن " حكومته ترغب فى أن تفعل ذلك لكن إستقرار القوات الروسية فى آذربيجان يجعله لا يستطيع أن يرى كيف أن تركيا يمكنها أن تتعهد وأن تتقيد بدقة بإحترام هذه السياسة، وأنه لن يحدث ذلك إلا بخروج القوات الروسية من الأراضى الإيرانية(٤).

---

(٢) محمد جواد مشكور: تاريخ ايران زمين از روزگار بستان تا عصر حاضر، تهران،٢٥٣٦ش، ص٣٧٧،عبد الله رازى: تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله مادتا عصر حاضر، چاپخانه اقبال، چاپ چهارم، تهران، ١٣٤٧،ص٥٥٩.

(٣) عبدالرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى ايران، ص٣٢٧.

(٤) ابراهيم صفائى: رهبران مشروطه، دوره اول، انتشارات جاويدان علمى، تهران ١٣٤٤ ش،ص١٦٣، عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين،مطبعة المركز النموذجى، الجيزة، ١٩٧٣ م، ص٢٨، طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية وحتى الثورة الإسلامية (١٩٠٦ -١٩٧٩ م)، بيروت، ١٩٨٠ م، ص٢٧٨.

(١) ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ (١٩٢٥ – ١٩٠٠ م)، بخش اول،شركت انتشارات باژنك، چاپ اول، تهران، ١٣٨٦، ص ١٣٩-١٤٠

عند ذلك سارع رئيس الوزراء وطلب رسمياً من بطرسبورج سحب قواتها من آذربيجان الإيرانية، لئلا تتخذ الدولة العثمانية من وجود تلك القوات ذريعة للتدخل وخرق حياد إيران، فجاء الرد الروسى كذلك سريعاً برفض الطلب بصورة قاطعة لأن القوات الروسية هناك تؤلف الضمانة الوحيدة والأكيدة لحماية الرعايا الأجانب فى البلاد[١].

إلا أن السبب المباشر لعدم سحب بطرسبورج لقواتها جاء على لسان الوزير المفوض الروسى فى طهران فى المقابلة التى تمت بينه وبين رئيس الوزراء الإيرانى، فقد أوضح أن بلاده تخشى احتلال الجيش التركى لآذربيجان عند سحب قواتها منها.[٢]

الأكثر من ذلك فإن الوزيرين المفوضين الروسى والبريطانى استفهما عن الضمانات الكافية لمنع الأتراك من دخول إيران، وقد أوضحت رسالة المفوض الروسى فى طهران إلى وزير الخارجية الإيرانى الأمر، وقطعت الأمل فى إنسحاب القوات الروسية عندما أشار إلى أن الإنسحاب أمر مستحيل فى ذلك الوقت.

وكانت ردود الفعل على الصعيدين الخارجى والداخلى عند إعلان سياسة الحياد الإيرانية متفاوتة، فالحلفاء على الرغم من موقفهم السابق والمعلن، رحبوا بالحياد الإيرانى لا لأنه ضمن لهم عدم دخول إيران الحرب إلى جانب دول المحور، بل أيضاً لأن ذلك ما يمكن توقعه فى ظروف إيران التى طغى عليها شعور معاد قوى لقطبى الحلفاء روسيا وبريطانيا.[٣]

وفى بداية الحرب كان الروس بدورهم يميلون إلى مثل هذا الموقف، فقد ورد فى برقية سرية بعثها"سازانوف" إلى سفير بلاده فى طهران بتاريخ ١١ فبراير ١٩١٥م ما نصه:

---

(٢) ايرج ذوقى: مرجع سابق، ص ١٤١.

(٣) ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ (١٩٢٥ – ١٩٠٠ م)، ص ١٤١-١٤٢، احمد كسروى: تاريخ هيجده ساله آذربيجان، تهران،١٣٣٣ش،ص٦٠٠-٦٠١

(١) ايرج ذوقى: ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ (١٩٢٥ – ١٩٠٠ م) ، ص١٤٢.

" يبدو لنا أن انضمام إيران الصريح إلينا بإعلانها الحرب ضد تركيا ليس من شأنه أن يجلب فوائد ملموسة بسبب ضعف حكومة الشاه، ومن جهة أخرى فإن ذلك يُلزمنا نحن وبريطانيا لا بتزويد الإيرانيين بالمال والسلاح فحسب، بل وربما أيضاً بتقديم مساعدات عسكرية فى أماكن صعبة جداً بالنسبة لنا مثل منطقة كرمنشاه، ثم إن الاشتراك المباشر فى الحرب يعطى الإيرانيين الحق فى طلب تعويضات معينة فى المستقبل... وعلى هذا الأساس يبدو أن لا حاجة لطلب أكثر من حياد ودى من إيران وذلك بأن تقوم بإتخاذ موقف حازم إزاء الإستفزازات الألمانية التركية والعمل من أجل عرقلة تغلغل الأتراك فى إيران قدر المستطاع، دون الإكتفاء بتقديم الإحتجاجات وبالأعتماد على الأكراد فى ذلك، بل ربما عن طريق تنظيم حرب عصابات بين العشائر الإيرانية الحدودية ضد العصابات التركية" (١)

وفى جلسة افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الشورى الوطنى، إحتج المجلس على بقاء القوات الروسية والبريطانية فى البلاد، لكن لم تؤد احتجاجات الشاه ولا المجلس إلى تغيير الموقف، وفى الحقيقة فإن فكرة " حياد إيران" لم يكن سوى كلمات على ورقة صماء، ولم يكن بمقدور إيران الاحتفاظ بذلك الموقف ويرجع ذلك لعدة أسباب:

أولاً: أن الحفاظ على الحياد من قبل دولة محتلة أراضيها بين دولتين من الدول المتحاربة وهى روسيا وبريطانيا،كان يتطلب وجود قوة عسكرية قادرة على تنفيذ ذلك الأمر، وهذا ما لم يتوفر لإيران خلال هذه المرحلة التى كانت فيها الفرقة العسكرية القوزاقية الإيرانية هى القوة المسلحة تسليحاً جيداً، ويقودها الضباط الروس الذين ينفذون التوجيهات من روسيا القيصرية، بينما كانت قوة الجندرمة الإيرانية يقودها الضباط السويديون ويدعمها البريطانيون، وإلى جانب تلك القوتين كان الجيش الإيرانى مفتقرا إلى القوة والتنظيم، فكيف يمكنها بذلك الوضع الحفاظ على استقلال إيران وضمان حيادها أمام الجيوش الجرارة المسلحة تسليحاً قوياً.

(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر،ص٩٩.

ثانياً: أن إيران بحكم موقعها الجغرافى كانت تشكل الطرف الشرقى لمنطقة الشرق الأوسط، وتربطها بروسيا القيصرية حدود برية طويلة،وكذلك مع الدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا، أضف إلى ذلك بريطانيا التى تركزت قواتها فى جنوب العراق بعد احتلاله فى بداية الحرب العالمية الأولى.

ثالثاً: إمتلاك إيران للمادة الإستراتيجية الهامة التى يتوقف عليها مصدر الحرب وهى النفط الذى جعل من المتعذر قبول حيادها.

ونتيجة لتلك الأسباب جميعاً أصبحت إيران، أشبه برقعة الشطرنج التى أحكم المتحاربون سيطرتهم على أطرافها، وبحكم ذلك فقد شهدت الأراضى الإيرانية فى آن واحد وبكل مساحتها، ومنذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى نهايتها، نشاطاً محموماً لكل الأطراف المتنازعة، وبشكل قلما شهدت مثله بقعة أخرى فى العالم.

وكان هدف الجميع كسب أكبر مجموعة من العشائر والتجمعات فى إيران، فنشط دبلوماسيو بريطانيا وروسيا وألمانيا والنمسا والمجر وتركيا وعسكريوها واقتصاديوها وعملاؤها فى آن واحد، وفى شمال إيران كما فى جنوبها وشرقها ووسطها، فاستخدموا المال والرشوة والوازع الدينى، وتبعاً لذلك انضم الإيرانيون من مسئوولين وساسة وزعماء عشائر أشياعاً وجماعات حاول معظمها إن لم يكن كل منها الإثراء على حساب أحد الطرفين المتحاربين، أو إن أمكن على حساب كليهما.[1]

فلم يكن حياد إيران مضموناً لا من قبل الدول المتحاربة الحلفاء والمحور، ولا من الإيرانيين أنفسهم حكومة وشعباً، وكان ذلك نتيجة طبيعية لواقع سياسى وعسكرى واقتصادى واجتماعى لدولة " لم تمتلك يومذاك الحد الأدنى المطلوب من المقومات الضرورية للتمسك بموقف حيادى حقيقى فى حرب عالمية"[2]، كما أن المصالح البريطانية والروسية فى إيران كانت من الحجم بحيث لم يكن بالإمكان أن يؤمن عليها حياد إيران فى الحرب، وسياسة الحياد اللاواقعية

(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص٩١
(٢) كمال مظهر احمد: مرجع سابق، ص٩٠

وإصرار الحكومة الإيرانية عليها، بالرغم من تعاطف أجنحتها المختلفة مع كل الدول المتحاربة بدرجات متفاوتة.

وانعكست طبيعة تجاهل سياسة الحياد ليس فقط فى رفض روسيا سحب قواتها من الشمال الإيرانى فحسب، بل تصرفت وكأن الشمال الإيرانى جزء من الأراضى الروسية، فحولت "تبريز" إلى قاعدة عسكرية للعمليات ضد الأتراك، كما إخترقت الدولة العثمانية أيضاً حياد إيران عن عمد، واقتحمت قواتها الحدود الشمالية من إيران فى نوفمبر ١٩١٤م، ودخلت مدن خيوه و أورميه أولاً ثم احتلت تبريز العاصمة الثانية للقاجاريين.(١)

ونظراً لتردى الأوضاع السياسية والعسكرية للحكومة المركزية فى إيران، لم تتمكن الدولة من التصدى لهم، وتوجهت بعد ذلك قوات تركية نحوهمدان المدينة ذات الموقع الإستراتيجى الهام التى تُمكن الأتراك من قطع وسط إيران،فتتمكن بذلك قواتها من منع الزحف الروسى من الشمال إلى الجنوب، ومنعها من الإنضمام إلى القوات البريطانية الزاحفة من الجنوب إلى الشمال، ثم توغلت القوات التركية داخل الأراضى الإيرانية وسيطرت على همدان، واتجهت نحوطهران، لكن روسيا استطاعت بقواتها العسكرية أن تحول دون ذلك، وفى نهاية يناير من نفس العام أنزل الروس هزيمة ثقيلة بالقوات العثمانية.(٢)

أما الوضع بالنسبة لبريطانيا التى ازداد أهمية إيران لديها بصورة ملموسة مع إندلاع نيران الحرب العالمية الأولى، وذلك لأنها لم تعد تؤلف فقط نقطة حيوية على طريق الهند، ولا مجرد حاجز بين روسيا القيصرية ومناطق النفوذ البريطانى، بل لأنها تحولت إلى مصدر مهم لإمداد قوات الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط والشرق الأوسط بالوقود(٣)، فكان طبيعياً، والحالة هذه، أن يتحول النفط إلى واحد من أهم العناصر التى حددت طابع العلاقات الإيرانية

(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، ص٩٢

(٢) سعيد الصباغ: تاريخ إيران السياسى جذور التحول (١٩٠٠- ١٩٤١ م)،الدار الثقافيه للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ٥٧، عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى ايران، ص ٣٢٨-٣٢٩، دونالد وليبر: إيران ماضيها وحاضرها، تعريب: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٨ م، ص١٠٥، ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ، ص١٤٥

(٣) محمود طلوعى: خواندنيهاى تاريخى، تهران، ١٣٧٨،ص٣٢٥

البريطانية فى سنوات الحرب، فكانت حماية المصالح النفطية فى مقدمة العوامل التى دفعت بريطانيا إلى تعزيز وجودها العسكرى فى إيران فى سنوات الحرب العالمية الأولى، ففى ٨ أغسطس ١٩١٥م، أنزلت بريطانيا قواتها فى بوشهر، وأتمت إحتلال المناطق الجنوبية حسب تحديد إتفاقياتها الخاصة مع روسيا.[١]

وكان من المفروض أن تقوم الحكومة الإيرانية بحماية المنشآت النفطية داخل البلاد، وفقاً للمادة الرابعة عشر من إمتياز دارسى للنفط الذى منحته إيران لبريطانيا ، إلا أنها فى ظروف الحرب غدت أعجز من السابق للقيام بهذه المهمة التى وقع تحقيقها بحكم ذلك على عاتق البريطانيين أنفسهم، وفى ظروف التسيب الزائد فى إيران لم تكن هذه المهمة من الأمور السهلة، ذلك لأن أنبوب النفط الممتد من مسجد سليمان حتى عبادان بطول ١٥٠ ميلاً كان مكشوفاً إلى حد كبير، الأمر الذى استغله عملاء ألمانيا فقاموا بتحريض العشائر الجنوبية لتخريبه، ففى فبراير ١٩١٥م أدت أعمال التخريب إلى إشعال النار فى أنبوب نقل النفط وبعض ملحقاته، مما أدى إلى توقف ضخ النفط لمدة ثلاثة شهور[٢]،

وانعكس ذلك على العلاقات بين طهران ولندن التى ألقت تبعية التخريب على عاتق الحكومة الإيرانية، وتبعاً لذلك امتنعت الشركة عن الإيفاء بإلتزاماتها المالية تجاهها حسب نص الإمتياز، وتمادت فى موقفها، إذ طالبت الحكومة الإيرانية بدفع التعويضات، ورفضت الشركة فكرة التحكيم التى أثارتها طهران فى ضوء منطوق نصوص الإمتياز وباشرت بإستقطاع الغرامة التى فرضتها بطرحها من حصة الأرباح المخصصة للحكومة الإيرانية التى عجزت عن التصدى لهذا القرار المجحف والمتناقض مع سيادة إيران[٣].

وبالرغم من جميع الإحتياطات التى اخذها البريطانيون، إلا أن الألمان استطاعوا عن طريق رجال العشائر وعملائهم فى المناطق الجنوبية من إيران أن يحققوا نجاحات كبيرة خلال السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى، فما كاد ينتهى عام ١٩١٥م حتى كان النفوذ الألمانى واسعاً فى جنوب إيران، فانسحبت

(١) محمد جواد مشكور: تاريخ ايران زمين از روزگار باستان تاعصر حاضر، ص٣٧٧
(٢) مصطفى فاتح: پنجاه سال نفط ايران، شركت سهامى چاپ، تهران،١٣٣٥،ص ٢٧٢-٢٧٣
(٣) مصطفى فاتح: مرجع سابق، ص٢٧٤-٢٧٥

الجاليات والهيئات القنصلية البريطانية والروسية، واستولى الألمان على سبعة من فروع البنك البريطانى البالغة سبعة عشر فرعاً وهى فروع " كرمانشاه وهمدان وسلطان آباد وآصفهان وشيراز ويزد وكرمان " ،أما فى الشمال فكان الوضع أقل إضطراباً.(١)

وتحت هذه الضغوط التى كانت على الحلفاء حاول مستوفى الممالك رئيس الوزراء الإيرانى إستغلال ظروف الحرب، ورغبة كلا الطرفين المتحاربين لكسب إيران إلى جانبه للحصول على بعض المكتسبات لصالح بلاده، فقد أبدى للوزير الروسى فى طهران استعداد حكومته للإنضمام إلى جانب الحلفاء بشروط وردت فى مذكرة الوزير المذكور إلى وزير الخارجية الروسى سازانوف فى ١١ فبراير ١٩١٥م وهى:

١- إنسحاب القوات الروسية من آذربيجان.

٢- دفع مبلغ ضخم للجانب الإيرانى على شكل قرض أو سلفة.

٣- تزويد إيران بالأسلحة والذخائر الكافية.

٤- تخفيض سعر الفائدة على القروض البريطانية والروسية السابقة.

٥- ضم مدينة كربلاء والنجف إلى إيران.(٢)

وقد جاء رد سازانوف على برقية سفير بلاده فى طهران فى نفس اليوم ١١ فبراير ١٩١٥م قائلاً له: "يبدو لنا أن انضمام إيران الصريح إلينا بإعلان الحرب ضد تركيا ليس من شأنه أن يجلب فوائد ملموسة بسبب ضعف حكومة الشاه، ومن جهة اخرى فإن ذلك يُلزمنا نحن وبريطانيا ليس بتزويد الإيرانيين بالمال والسلاح فحسب، بل وربما أيضاً بتقديم مساعدات عسكرية فى أماكن صعبة جداً بالنسبة لنا مثل منطقة كرمانشاه، ثم إن الإشتراك المباشر فى الحرب يعطى الإيرانيين الحق فى طلب تعويضات معينة فى المستقبل... وعلى هذا الأساس يبدو أنه لا حاجة لنا فى أكثر من حياد ودى من إيران، وذلك بأن تقوم بإتخاذ موقف حازم إزاء الإستفزازات الألمانية والتركية، والعمل من أجل عرقلة تدخل

(1) P. sykes, Ahistory of Persia , vol.11 ,Third Edi , London, 1958 ، P 450

(٢) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر،ص٩٦

الأتراك فى إيران قدر المستطاع، وربما يكون ذلك عن طريق تنظيم حرب عصابات بين العشائر الإيرانية الحدودية ضد العصابات التركية"[١].

ومن أجل تقوية جبهة الحلفاء أمام الجبهة المعادية دارت محادثات سرية بين لندن وبطرسبورج حول مستقبل إيران ورداً على ما أبدته الخارجية الروسية من رغبة فى الاستحواذ على اسطانبول والمضايق التركية فى حال انتصار الحلفاء عبرت لندن عن رغبتها فى مد نفوذها فى إيران إلى المنطقة المحايدة المحددة فى إتفاقية ١٩٠٧م، وعلى هذا الأساس تم التوصل عام ١٩١٥م إلى إتفاقية جديدة بين الطرفين تعهدت بريطانيا بموجب بنودها بتلبية أطماع روسيا فى اسطانبول والمضايق، واعترفت روسيا بالمقابل بأن تصبح المنطقة المحايدة فى إيران ضمن منطقة النفوذ البريطانى باستثناء آصفهان ويزد ومنطقة صغيرة فى شرقى البلاد، وبذلك تكون بريطانيا قد حققت رغبتها فى ضم المناطق الإيرانية الغنية بالنفط إلى نفوذها بعد أن كانت فى منطقة الحياد، أما روسيا فقد حققت رغبتها فى ضم المناطق التركية إلى سيطرتها.[٢]

وبالطبع كانت إتفاقية ١٩١٥م تتنافى مثل اتفاقية عام ١٩٠٧م مع وحدة إيران واستقلالها، وخير دليل على ذلك أنها عقدت دون الرجوع إلى حكومة إيران، وبموجب هذه الإتفاقية وقعت إيران بأكملها تحت سيطرة القوات الروسية والقوات البريطانية، حيث وقعت المنطقة الممتدة بدءاً من "كرمانشاه" حتى "بروجرد"، ومن "كاشان" إلى "تربت حيدرية"، ومن "طبس" "وجزء من قاين حتى جام وخرز" ومن " خواف" حتى "سرخس" تحت النفوذ الروسى، بينما وقعت المنطقة الممتدة من أراضى "بختيار" وطرق" خرم آباد" "وبروجرد " و" كرمان" حتى "قائنات " و"فارس" "وخوزستان" "

---

(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، ص٩٩

(٢) للتفصيل عن الإتفاقية انظر:

حسين مكى: مختصر از زندگانى سياسى سلطان احمد شاه قاجار" بضميمه چند برده از زندگاني داخلى وخصوصى او " تهران، ١٣٢٣، ص٢٠٢-٢٠٩، جهانگير قائم مقامى: تحولات سياسى نظام ايران از آغار قرن يازدهم تاسال ١٣٠١، چاپ اول، تهران، ١٣٢٦،ص٢٠٧-٢١٤

وبلوشستان" تحت النفوذ البريطانى، ولم يتبق لإيران سوى منطقة صغيرة فقط فى "آصفهان "و "يزد"[١]

وعلى أثر تلك الإتفاقية قررت روسيا وبريطانيا العمل على إحباط الخطط الألمانية التركية بإحكام الطوق على حدود إيران الشرقية عن طريق تشكيل ما أطلق عليه فى الحرب العالمية الأولى " نطاق شرق إيران East Persia Cordon" الذى تقرر أن يتألف من القوات البريطانية والروسية على طول حدود بلوشستان وأفغانستان لمنع تسلل البعثات الألمانية والقوات العسكرية الألمانية إلى أفغانستان[٢].

وقد بدأت بريطانيا تنفيذاً للإتفاق الجديد الموقع بينها وبين روسيا فى تأسيس قوة خاصة بهم، أطلقوا عليها اسم قوة بنادق جنوب إيران South Persia Rifles، ففى بداية عام ١٩١٦م إستدعت الحكومة البريطانية الخبير بشئون المنطقة والشئون الإيرانية السير "بيرسى سايكس Sri Percy Sykes" على جناح السرعة ليأخذ على عاتقه قيادة البعثة العسكرية إلى جنوب إيران بهدف إيجاد قوة لإستعادة الأمن والنظام لمصلحة الحكومتين الإيرانية والبريطانية على حد تعبير "سايكس" نفسه فيما بعد.[٣]

وصلت البعثة العسكرية البريطانية ميناء "بندر عباس" فى مارس ١٩١٦م وكانت تتألف من ستة ضباط ثلاثة منهم هنود وعشرين ضابط صف، وشرعت بتجنيد قوة من سكان جنوبى إيران، وقد لقيت البعثة فى البداية بعض الصعوبات فى تنفيذ مهمتها رغم ما أبدت لرجال عشائر المنطقة من إغراءات مادية، ولكن سرعان ما تمكن أعضاء البعثة بفضل حنكة "بيرسي سايكس" وأساليبه الحاذقة من تذليل الصعاب التى جابهتهم، ونجحوا فى تأليف قوة بنادق جنوب إيران، التى قدر لها أن تلعب دور ملموساً فى أحداث البلاد خلال سنوات الحرب العالمية

(١) سيد جلال الدين مدنى: تاريخ سياسى معاصر ايران، جلد اول، دفتر انتشارات اسلامى، تهران، ١٣٦٦، ص٧٤

(٢) يحى آرين پور: ازصبا تا نيما، جلد دوم، تهران، ١٣٧٢، ص٢٠١

(3) P .Sykes , a history of Persia, Vol.11, P.452

الأولى، خاصة بعد أن طورت قواتها بحيث أصبحت تتألف من فرقتين فى "فارس وكرمان" وكتيبة فى ميناء "بندر عباس"(١).

وقد تم تشكيل القوة العسكرية البريطانية فى الجنوب دون إذن من الحكومة الإيرانية، التى لم تعترف بها فى البداية، ولكن الاعتراف الإيرانى كان آخر ما يأخذه البريطانيون بنظر الإعتبار يومذاك فى تطبيق سياستهم بالنسبة للمنطقة، لذا لا عجب أن يباشر "بيرسي سايكس" تنفيذ المهمات التى جاء من أجلها، وفى الوقت التى تمكنت فيه روسيا فى الشمال من دحر العثمانيين خلال الأشهر الأولى من عام ١٩١٧م ومن ثم طردهم من إيران، نجحت قوة جنوب فارس من إحتلال طهران وكرمان وشيراز بعد أن شتتت رجال القبائل هناك واستطاعت أن تفتح الطريق بين شيراز وكازيرون فى الجنوب(٢).

وفى أواخر ربيع عام ١٩١٧م أصبحت إيران تحت السيطرة البريطانية الروسية المحكمة،وبات القرار الإيرانى فى أيدى الوزيرين المفوضين الروسى والبريطانى،وليس للشاه أو للحكومة الإيرانية(٣)، التى أصبحت كقطع شطرنج يحركها الحلفاء كيفما شاءوا، فلقد كانت السيطرة البريطانية الروسية محكمة بدرجة واضحة، إلا أن الثورة الروسية أربكت الحسابات العسكرية والسياسية جميعاً وقلبت القضية الإيرانية برمتها كما سنرى عندما يحين الحديث عنها.

ونتيجة لتلك الأحداث، والسيطرة البريطانية الروسية المحكمة على إيران هاجر عدد من الوطنيين الإيرانيين والنواب إلى مدينة قم حيث ألفوا ما أسموه بالحكومة الوطنية المؤقتة، وقد حاول بعض القادة الوطنيون الضغط على الحكومة الإيرانية لإجبارها على التخلى عن حيادها، والانضمام إلى المعسكر الألمانى، كما حاولوا إقناع الشاه بمغادرة العاصمة "طهران" بصحبتهم وطلبوا

---

(1) P. Sykes, a history of Persia, P.476،
طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية وحتى الثورة الإسلامية،ص٢٨٣

(٢) على اكبر ولايتى: تاريخ روابط خارجى ايران دوران ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه،چاپ دوم، تهران، ١٣٧٥، ص٤٢-٤٣، P.Sykes , op cit, Vol.11. P.480

(٣) حسين مكى: مختصر از زندگانى سياسى سلطان احمد شاه قاجار،ص٢٠٢

منه إعلانه صراحة عن إنضمامه إلى القوات المركزية والوقوف ضد الحلفاء، فتهيأ الشاه لذلك بعد إقناعه بالفكرة.(١)

ولكن تدخل الوزيرين المفوضين الروسى والبريطانى فى إيران حال دون ذلك بعد لقائهما بالشاه،وفى اليوم نفسه وجهت روسيا إنذاراً شديداً إلى الحكومة الإيرانية تحذرها من أنه لو وجدت شيئاً من الحقيقة فى الشائعات التى تقول بأن إيران أقامت حلفاً مع ألمانيا والعثمانيين؛ فإن الاتفاقية الروسية عام ١٩٠٧م التى وضعت على أساس مبدأ حماية وحدة الأراضى الإيرانية واستقلالها سوف تعد ملغاة، وعلى الرغم من أن الإنذار تم توجيهه من الوزير الروسى وحده، إلا أنه كان بإتفاق الحكومتان الروسية والبريطانية، وبالطبع كان هذا يعنى أن آخر آثار السيادة الإيرانية سيتم القضاء عليها إذا نُفذ الحلفاء إنذارهم فى حالة التحاق الشاه بمعسكر الدول المركزية، وخلال هذه المرحلة نشط أصدقاء الحلفاء لإقناع الشاه بالعدول عن مناصرة الدول المركزية لأن ذلك سوف يعرض عرشه للخطر، ولاسيما أن الوزيرين الروسى والبريطانى قد هددا بذلك.(٢)

وقد اتسمت السنوات التالية من الحرب بالإضطرابات،كما كانت تمثل وقتاً عصيباً لإيران.

المبحث الثانى

أثر الثورة الروسية على العلاقات الإيرانية البريطانية

كان من الطبيعى أن يؤدى إنتصار ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م (٣) فى روسيا إلى حدوث تغيير كبير فى العلاقات بين طهران والنظام السوفيتى الذى فتح

(١) حسن اعظام قدسى: كتاب خاطرات من ياروشن شدن تاريخ صد ساله " اعظام الوزاره"، جلد اول چاپخانه حيدرى، تهران، ١٣٤٢،، ص ٢٨٨

(2) P.Sykes, a history of Persia ,vol 11 ,P. 447-448

(١) وهى الثورة التى وقعت فى روسيا فى اكتوبر عام ١٩١٧م وعلى أثرها تم الإطاحة بالقيصر (نيقولا الثانى)الذى اعتبر منذ ذلك الوقت آخر قياصرة أسرة (رومانوف)الحاكمة فى روسيا حيث استولت حكومة البلاشفة الشيوعية بزعامة (فلاديمير اوليا نوفيتش ليتين)على مقاليد الأمور.

حبيب الله شاملوئى: تاريخ ايران از ماد تا پهلوي، انتشارات بنگاه مطبوعاتى صفي عليشاه، تهران، ١٣٣٧ ه ش، ص ٨٧٣

صفحة جديدة" لم تكن تخطر ببال الإيرانيين أنفسهم"[١] حسب تعبير المؤرخ الإيرانى " جهانگير قائم مقامى".

ففى النداء الذى وجهته السلطة السوفيتية إلى الكادحين المسلمين فى روسيا والشرق بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩١٧م،ورد بخصوص إيران بأنه عقب توقف العلميات الحربية سينسحب الجيش الروسى من إيران ويضمن للإيرانيين حق تقرير مصيرهم بحرية.[٢]

واهتم الإيرانيون فى المرحلة الجديدة من علاقاتهم بروسيا بعدة أمور أساسية، أهمها الموقف من اتفاقية التقسيم العام ١٩٠٧م، ومصير القوات الروسية الموجودة داخل الأراضى الإيرانية، ومستقبل الامتيازات الروسية الواسعة فى إيران، وقد جاء إعلان الحكومة السوفيتية لقرارها فى ١٤ يناير سنة ١٩١٨م مطمئناً للإيرانيين، فقد تنازلوا عن جميع الامتيازات التى كانت للحكومة القيصرية فى إيران، وأعلنوا مساندتهم لاستقلال إيران وسيادة أراضيها واستعدادهم لإقامة علاقات ديبلوماسية معها على أساس المساواة والاحترام المتبادل.[٣]

أثارت هذه المواقف المشاعر المتفائلة لدى الإيرانيين الذين طالبوا الحكومة الإيرانية بالإعلان عن إلغاء الإتفاقيات والالتزامات التى فرضت على إيران كافة، ولاسيما الاتفاقية الروسية البريطانية لعام ١٩٠٧م، كما طالبوا بإقامة نظام انتخابى أكثر عدالة وتشكيل حكومة وطنية جديدة غير منحازة لكلتا الدولتين الروسية والبريطانية.

وبالطبع ازداد موقف بريطانيا حرجا فى إيران بسبب موقف البلاشفة المعلن إذ أن الثورة شكلت إنذاراً بخطر كبير سوف تتعرض له مصالحها فى المنطقة ولاسيما إيران، فإلى جانب أنها فقدت بريطانيا حليفاً مهماً ضد ألمانيا، إنتابها

---

(١) جهانگير قائم مقامى: تاريخ تحولات سياسى نظام ايران ازآغاز قرن يازدهم هجرى، ص١٠٧

(٣) للإطلاع على نص ما جاء فى خطاب "لينين" الذى أذيع فى١٦ ديسمبر ١٩١٧م أنظر: محمد على منشور گرگانى:سياست دولت شوروى در ايران از ١٢٩٦ تا ١٣٠٩، جلد اول،چاپخانه مظاهرى، تهران، ١٣٢٦ ه.ش،ص ٨-٩

(٣) طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية وحتى الثورة الإسلامية،ص ٢٨٥

القلق من تأثير الدعاية الشيوعية لزعزعة مصالحها فى إيران خاصة، ولاسيما أنها لم تبد أى دلائل على الاستجابة للدعوة الروسية بإلغاء إتفاقية عام ١٩٠٧م، وقد حاولت بريطانيا تعزيز نفوذها فى إيران فى تلك الفترة على نحو أكبر بعد أن أخذ تطور الأحداث فى إيران يسير منذ أواخر عام ١٩١٧م لغير الصالح البريطانى لأسباب عديدة، من بينها تصاعد موجة العداء لدى الإيرانيين ضد بريطانيا بسبب إستمرار وجود القوات العسكرية البريطانية على الأراضى الإيرانية، كما أن سقوط حكومة وثوق الدولة الموالية لبريطانيا وعدم اعتراف خلفه علاء السلطنة بقوة بنادق جنوب فارس، إضافة إلى قيام بعض القبائل الإيرانية بمهاجمة البريطانيين على طريق "شيرازآصفهان" ونهب العديد من القوافل التجارية هناك[١] مما أشعر الحكومة البريطانية بالخطر على نحو لم يسبق له مثيل.

وفى محاولة لتهدئة مشاعر العداء الإيرانى المتزايدة،بعثت الحكومة البريطانية مذكرة إلى الحكومة الإيرانية بتاريخ ١٢ مارس ١٩١٨م تضمنت مقترحات عديدة من بينها، مساهمة الحكومة الإيرانية فى الدفاع عن حدودها ضد الألمان والأتراك فى حالة عودتهم ثانية، وانتشار القوات البريطانية فى إيران للمحافظة على النظام وحماية مصالح الحلفاء والاعتراف بقوة بنادق جنوب فارس لبناء علاقات ودية بين الحكومتين البريطانية والإيرانية، وتعهد بريطانيا بالترحيب بالممثل الإيرانى لآى مؤتمر قادم تدعى إليه دول غير محاربة، وتقديم بريطانيا مساعدة مالية سخية للحكومة الإيرانية وإنشاء قوة عسكرية موحدة لإيران بأكملها وإعادة النظر بالتعريفة الجمركية الإيرانية وتنفيذها[٢].

رفضت الحكومة الإيرانية ما جاء فى المذكرة البريطانية،ووصفت فى ردها قوة بنادق جنوب فارس بأنها قوة عسكرية شكلت تهديداً لاستقلال ووحدة أراضى إيران، كما اتهمت فى ردها الحكومة البريطانية بانتهاكها الحياد

(2)P.Sykes, ahistory of Persia, Vo1, 11, P 480

(١)P.Sykes, a history of Persia.,p.500،

ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ، بخش اول، ص١٧٥-١٧٦

الإيرانى، واحتجت ضد وجود القوات البريطانية وطالبت بسحبها على الفور، وأخيراً طلبت من بريطانيا أن تدع إيران وحدها دون أن تتدخل فى شؤونها.[١]

وقد عكس هذا الرد الإيرانى على المذكرة البريطانية مدى التصاعد الذى وصلت إليه السياسة المعادية لبريطانيا التى انتهجتها الحكومات الإيرانية المتعاقبة بعد سقوط وثوق الدولة فى يونيو ١٩١٧م، فاقتنع الإيرانيون بعدم صدور أى مخاوف جديدة من روسيا تجاههم بعد الثورة البلشفية، كما اقتنعوا كذلك بأن البريطانيين هم الذين أصبحوا أعداء حريتهم وإستقلالهم.

وفى تصعيد للمعارضة الوطنية للنفوذ البريطانى على نحو يلفت النظر فقد أصدرت الحكومة الإيرانية التى ترأسها صمصام السلطنة فى ١٧ يوليو عام ١٩١٨م مرسوماً قررت فيه إلغاء المعاهدات والاتفاقيات والامتيازات التى عقدت مع الحكومة الروسية القيصرية بصورة غير متكافئة،كما اقترحت إنهاء امتيازات الدول الأخرى فى إيران، إلا أنها امتنعت عن تقديم التفصيلات فى هذا الشأن وتركت ذلك إلى مجلس الوزراء لتقديم مايراه مناسباً، وبالطبع آثار قرار حكومة صمصام السلطنة فى إلغاء الامتيازات الأجنبية حفيظة الوزراء المفوضين للدول الغربية لدى طهران وعلى رأسهم الوزير المفوض البريطانى،فمارسوا ضغطاً على الشاه من أجل إقالتها وإبطال قرار إلغاء الامتيازات، ولم يكن أمام الشاه الضعيف سوى الرضوخ لتلك الضغوط ،وأسفر ذلك عن عودة وثوق الدولة ثانية إلى رئاسة الوزارة فى أغسطس ١٩١٨[٢]، والمعروف بولائه الشديد لبريطانيا، والذى لم يتردد فى التعاون مع البريطانيين فى جميع الميادين،فكان ذلك نصراً جديداً للنفوذ البريطانى فى البلاد.

فقد تحول أحمد شاه قاجار فى السنوات الأخيرة من حكمه إلى بيدق بيد البريطانيين تحركه بريطانيا كيفما تشاء، فنادراً ما كان يقدم على تعيين رئيس وزراء جديد أو إبعاد آخر دون إستشارة السفارة البريطانية فى طهران، بل كان يستشير الانجليز حتى فى تحركاته الشخصية داخل البلاد وخارجها، وقد ورد فى

---

(2)P.Sykes, Op, Cit، P. 500،

ايرج ذوقى: مرجع سابق، ص ١٧٩-١٨٠

(١) ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسي ايران وقدرتهاي بزرگ، بخش اول، ص ١٨٠-١٨١

إحدى الوثائق البريطانية ما يدل على أن هذا الشاه كان يتقاضى الأموال من الحكومة البريطانية بكل بساطة،ومن ذلك ما ورد فى إحدى الوثائق البريطانية السرية ما نصه" إنه(أى أحمد شاه) يميل الآن إلينا كلياً وقد قرر أن يعمل معنا بأسلوبه الفردى نوعاً ما وأن أفضل طريقة للاحتفاظ به فى هذا الإطار من التفكير هى منحه أو حصوله على أكبر قدر ممكن من الأموال التى يحبها أكثر من أى شئ"(١).

وقد أثارت تطورات الأوضاع فى شمال إيران قلقاً جدياً للبريطانيين الذين كان عليهم ملء الفراغ الذى تركه إنسحاب القوات الروسية العثمانية من إيران، لذلك سارعت القوات البريطانية فى جنوب إيران إلى التوجه نحو "باكو" عاصمة آذربيجان الشمالية و "تبليس" عاصمة جورجيا عن طريق همدان و قزوين ورشت وأعقبتها قوة بريطانية أخرى توجهت إلى شمال شرقى إيران بقصد إحتلال مناطق محددة تطل على بحر "قزوين"(٢).

وكان من أهداف تلك القوات السيطرة على المناطق الروسية فى شمال شرق إيران، بغرض تحريض بعض أملاك روسيا الواقعة شمال شرق إيران مثل تركمانستان وقزاخستان كى تستقل تحت رعايتها وحمايتها ،وبهذا تقيم بريطانيا سداً بين روسيا الشيوعية وإيران والهند(٣).

وهكذا كانت إيران كلها عندما حلَت الهدنة محتلة من القوات البريطانية، ففى جنوب إيران كانت قوة بنادق جنوب فارس بقيادة "سير برسى سايكس" Sir Percy Sykes، وفى الشمال قوات بقيادة الجنرال "تامسون" General Tamson، وفى الشرق كان هناك نطاق عسكرى بقيادة الجنرال "السير ويلفريد ماليسون" General Sir Wilfriad Balleson، وفى الوقت نفسه قوات عسكرية بريطانية أخرى فى الغرب بقيادة الجنرال" دنستر فيل" Dunster Ville(٤).

---

(٢) مقتبس من:كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر،ص١١١

(١) كمال مظهر أحمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، ص٢٧١

(٢) حبيب الله شاملوئى: تاريخ إيران، ص ٨٧١-٨٧٢

(٣) ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ، ص ١٦٧

وفى ١١ نوفمبر ١٩١٧م وضعت الحرب العالمية الأولى أوزرها، وقد انتهت بهزيمة دول المحور وصعود نجم بريطانيا التى خرجت من الحرب منتصرة وأصبحت الدولة الأوروبية الوحيدة التى تتحكم فى المنطقة الممتدة من الحدود الصينية شرقاً وحتى العراق غرباً، وصاحبة اليد العليا فى إيران سياسياً واقتصادياً وعسكرياً(١).

وفى الواقع كانت ظروف الحرب العالمية الأولى والأزمات التى تعرضت لها إيران خلالها المقدمة الطبيعية لسقوط هذه الأسرة القاجارية التى كانت تحتضر منذ الوفاق الروسى البريطانى.

المبحث الثالث

أوضاع إيران بعد الحرب العالمية الأولى وإنعكاساتها على سياستها الخارجية

عندما انتهت الحرب العالمية كانت إيران ضعيفة خائرة القوى، خاوية الخزانة، ممزقة الأشلاء، تحتل الجيوش الأجنبية يعم القحط أراضيها الزراعية ويقاسى أهلها من الجوع (٢).

فلم تتوقف العمليات العسكرية لمختلف الأطراف داخل الأراضى الإيرانية منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى إنتهائها، فكان من الطبيعى أن تلحق بإيران جراء ذلك أضرار مادية وبشرية جسيمة، فقد عانى الإيرانيون طيلة سنوات الحرب من تقلص الانتاج الزراعى وشحة المواد الحياتية الأساسية، فقد تدمرت معظم قنوات الرى وتحولت مناطق شاسعة من الأراضى الزراعية إلى ميادين عملية للقتال، وحدث تقلص كبير فى مساحة الأراضى الإيرانية المزروعة خلال الحرب(٣)، وهجر الفلاحون أراضيهم إما بسبب الحروب الأهلية المفتعلة أو أمام قسوة الضرائب، فتحولت بعض القرى إلى صحارى مهجورة وتبعاً لذلك انخفض

(١) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية فى التاريخ الحديث، طبع ونشر مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ٤٨٤-٤٨٥

(١) محمد تمدن: اوضاع ايران در جنگ اول، تاريخ رضائيه، تهران، ١٣٥٠، ص١٦٥

(٢) حسين كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسى، ج٤،ص٢٩

الإنتاج الزراعى الإيرانى بصورة خطيرة وقل إنتاج الحبوب الضرورية ونذر الطعام.[١]

وفى سنوات الحرب لم تنج منطقة واحدة من إيران من الأمراض والأوبئة المختلفة التى حصدت سكانها حصداً، ففى أغسطس ١٩١٧م انتشر مرض الكوليرا على نطاق واسع فى " همدان وجلفه"، وفى العام التالى لقى ما لا يقل عن خمس سكان شيراز (١٠آلاف من٥٠ الف) حتفهم جراء انتشار الإنفلونزا بينهم[٢]، وفى الحالة الأخيرة لم تنج حتى القوات البريطانية العاملة هناك من آثار المرض، فقد بلغ عدد إصابات أفرادها حوالى ٦٠٠ إصابة[٣]، ولا يخفى ما تتركه الأمراض والأوبئة من آثار سلبية على الوضع الاقتصادى العام.

أدى مجمل هذه العوامل إلى حدوث مجاعات فعلية فى إيران خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، ففى العام ١٩١٧-١٩١٨م، لقيت عشرات الألأف من الناس حتفهم بسبب الجوع فى آذربيجان الغنية وحدها، وأودت مجاعات مشابهة بما لا يقل عن ربع سكان المنطقة الشمالية الغربية كما هلك ربع سكان الريف بولاية طهران وحدها عام ١٩١٨م.وإضطر العديد من الإيرانيين إلى أكل لحوم الكلاب والحيوانات الميتة[٤].

وتفاقمت ظواهر التسيب الإقطاعى فى هذه المرحلة من تاريخ إيران بصورة خطيرة، فقد سادت الإضطرابات والفوضى مناطق العشائر بأسرها[٥]، ولم يختلف وضع مؤسسات الدولة ودوائرها عن ذلك كثيراً فإن الموظفين غدوا لا يهتمون بمصالح البلاد، ولا يفكرون بغير مصالحهم الخاصة[٦]، وفى مثل هذه الظروف أصبح اصحاب النفوذ من رجال العشائر وكبار موظفى الدولة وغيرهم صيدا سهلا من ذى قبل فى شباك الأجانب.

---

(٣) امال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص٤٣

(٤) عبد الله رازى: تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله مادتا عصرحاضر،ص٥٦٠

(3)P.Sykes, ahistory of Persia, Vol,11,P.515

(٢) حسين كريم الجاف: مرجع سابق، ج٤،،ص٢٩، آمال السبكى: مرجع سابق،ص٤٣

(٣) طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية وحتى الثورة الإسلامية،ص٢٨٤

(٤) محمد تمدن: اوضاع ايران درجنگ اول، ص ١٦٥

ومع كل هذه الأمور لم يكن الوضع المالى أفضل من الوضع الغذائى، فقد قل تدفق الضرائب والمكوس مما هدد خزينة الدولة بالإفلاس، حتى أن الحكومة عجزت عن تسديد الرواتب والأجور الشهرية، وبالتالى انخفضت نسبة الواردات من الخارج إلى الثلث تقريباً سنة ١٩١٥م، واضطرت الحكومة القاجارية إلى الإستدانة من بريطانيا من جديد، حتى وصلت ديونها خلال الحرب العالمية الأولى إلى سبعة ملايين جنيه إسترلينى بالإضافة إلى مليون جنيه فوائد للدين وتعهدت الحكومة بدفع ربع دخلها أقساطاً لديون لندن وحدها(١).

ومع إنتهاء الحرب ألفت الحكومة الإيرانية لجنة خاصة لتقدير الخسائر التى لحقت بالبلاد فى سنوات الحرب، وقد جاء فى تقرير اللجنة التى أنهت أعمالها فى ديسمبر١٩١٨م أن قيمة الخسائر المادية التى لحقت بإيران جراء الحرب تقدر بـــ ٤٣٦ مليون تومان، فيما قدرت اللجنة خسائرها البشرية بما لا يقل عن ٣٠٠ ألف شخص.(٢)

أدت هذه الأمور إلى ابتعاد الجماهير الإيرانية كلياً عن السلطة القاجارية كما أنها ساعدت بالقدر نفسه على تعزيز مواقع المعارضة،ونمو الحركة الوطنية التى تأثرت فى نهوضها الجديد بجملة عوامل خارجية أيضاً من قبيل ثورة روسيا، تلك الثورة التى أحدثت تغييرا فى تناسب القوى فى المنطقة، فبعد سقوط النظام القيصرى فى روسيا أصبحت الحركة الوطنية الإيرانية فى هذه المرحلة وجهاً لوجه أمام عدو واحد متمثل ببريطانيا، فيما تحول البلاشفة إلى مصدر دعم بالنسبة لهم وبحكم العوامل الداخلية الأساسية والعوامل الخارجية المساعدة دخلت الحركة الوطنية الإيرانية مرحلة جديدة من التطور والإنتشار لم تشهد البلاد لها مثيلاً حتى أيام الثورة الدستورية، ففى كل يوم كانت تتفجر إنتفاضة قوية فى زاوية من زوايا إيران، امتدت آثارها إلى الشعوب غير الفارسية قاطبة، ولقد هددت بعض هذه الإنتفاضات النظام القاجارى والوجود الأجنبى فى البلاد فى الصميم، ففى ذروة أيام انتفاضة گيلان استعد جميع الأجانب وكل مسئولى الحكومة المركزية للإنسحاب من العاصمة طهران، واستعد " احمد شاه قاجار"

(١) آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٤٤
(٢) حسين مكى: مختصر از زندگانى سياسى سلطان احمد شاه، ص ٧٢-٧٤

نفسه للهرب إلى أوروبا بحجة المرض، أما الأذربيجانيون بقيادة خيابانى، فقد قطعوا صلاتهم بطهران، وركزوا مطاليبهم فى أربع نقاط رئيسية أذاعوها فى ٢٤ يونيو ١٩٢٠م، كانت النقطة الأولى منها تطالب بقلب نظام الشاه، وإقامة نظام جمهوري ديموقراطى مكانه، وكانت الثانية منها تطالب بوضع نهاية لتبعية إيران للدول الاستعمارية(١)

إن تطور الحركة الوطنية الإيرانية بهذا الإتجاه دخل ضمن العوامل الأساسية التى جعلت إجراء تغييرات كبيرة على صعيد السياستين الداخلية والخارجية أمراً ملحاً اقتنعت به حتى أروقة خارجية الدول الكبرى ذات المصلحة فى إيران فضلاً عن قوى داخلية كانت محسوبة على جبهة السلطة، وكما نرى فإن هذا الواقع تحول إلى العامل الحاسم الذى أدى فى نهاية المطاف إلى سقوط الأسرة القاجارية، أما فى الفترة التى أعقبت الحرب بصورة مباشرة فإن سياسة طهران الخارجية بقيت تتحرك فى نفس إطارها السابق تقريباً، والذى كان من سماته تبنى أهداف تفوق إمكانات البلاد وطاقاتها العقلية، ولقد تجلى هذا الأمر بصورة واضحة فى الموقف الذى اتخذته الحكومة الإيرانية أثناء مؤتمر الصلح بباريس.

المبحث الرابع

الموقف البريطانى من مسألة تمثيل إيران فى مؤتمر السلام

بإنتهاء الحرب العالمية الأولى توجهت الشعوب المغلوبة على أمرها بأنظارها إلى مؤتمر "فرساى" الذى افتتح فى باريس يوم ١٨ يناير ١٩١٩م، وهو مؤتمر خاص للدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى، هدفه وضع شروط الصلح مع الدول المندحرة، وكانت إيران إحدى الدول التى كانت تأمل فى إيصال صوتها إلى ممثلى الدول الكبرى المجتمعين بباريس.

فقد رأت الحكومة الإيرانية أن من حقها الاشتراك فى مؤتمر الصلح على أساس أن إيران تحولت إلى إحدى ساحات القتال بين الأطراف المتحاربة طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى، كما أنها اعتقدت أن الظروف الدولية مواتية بالنسبة لها

(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الثورات انظر: كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر،ص١٠٩-١١٠، ص٢١٥-٢١٨

لتحقق بعضاً من أطماعها، وعلى هذا الأساس ألفت حكومة وثوق الدولة وفداً رفيع المستوى برئاسة وزير الخارجية مشاور الممالك[1]، وعضوية مجموعة من كبار الساسة الإيرانيين المعروفين وهم حسين علاء وذكاء الملك فروغى، نبيل الدولة كاشى، انتظام الملك والأمير أمان الله ميرزا جهانبانى[2].

احتوت حقيبة الوفد الإيرانى على نوعين من المطالب، الأول مطالب مشروعة والثانى مطالب غير مشروعة كان تحقيقها يدخل فى عداد المستحيلات فى الظروف الدولية التى كانت تسود المنطقة يومذاك، وقد سلم الوفد إلى المؤتمرين مجموعة كبيرة من الوثائق والتقارير من بينها قائمة مطبوعة يضم المطالب الإيرانية وخلاصتها:

١- ضمان الاستقلال السياسى لإيران بإلغاء الإتفاقية البريطانية الروسية لعام ١٩٠٧م وحل المحاكم القنصلية والحرس القنصلى الأجنبى فى البلاد.

٢- ضمان الاستقلال الاقتصادى بإلغاء المعاهدات والاتفاقيات والمواثيق المناقضة لسيادة إيران واستقلالها وإلغاء الامتيازات وإعادة النظر فى التعريفة الجمركية بعقد اتفاقيات تجارية جديدة.

٣- التعويض عن أضرار الحرب الناشئة عن عمليات الجيوش الأجنبية من تخريب المناطق وتدمير الممتلكات والتى جاءت تفاصيلها فى وثائق الوفد الإيرانى.

٤- الحصول على دعاوى إيران من شركة النفط.

٥- إنشاء خط حديدى يمتد من خانقين حتى كرمانشاه وهمدان وطهران.

٦- العمل على إنشاء خطوط جوية فى إيران.

٧- مطالبة إيران باسترداد أراضى واسعة داخل حدود روسيا والعراق وتركيا بحجة احتلالها لها فى فترات تاريخية سابقة، منها أذربيجان الشمالية وعاصمتها باكو، وأرمينيا الغربية وعاصمتها يريفان، وقرة باع وجزء من

(١) ورد فى كتابات بعض المؤرخين بأن نصرت الدولة فيروز كان رئيساً لهذا الوفد. ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ، ص٢٢٤-٢٢٥

(٢) ايرج ذوقى: مرجع سابق،ص٢٢٤

داغستان ومناطق عراقية شمالية، بما فيها مدينة الموصل، ومناطق تركية شرقية بما فيها مدينة ديار بكر.(١)

وإذا كان فى هذه المطالب مسألة بعيدة المنال أو مسألة "غير معقولة" يعوزها " النقص الفاضح فى الخبرة السياسية" بتعبير "بيرسي سايكس"(٢). فهى ما يتعلق فى المطالبة بأراضى الدول المجاورة والمساس بوحدتها بالإستناد إلى أسس واهية يرفضها الواقع والمنطق.

وقفت لندن ضد رغبة طهران بخصوص اشتراك وفدها فى مؤتمر الصلح بباريس بحجة أن إيران كانت دولة محايدة وفق ما أعلنته حكومتها عند بدء الحرب، وأن هذا المؤتمر من أجل الصلح بين الدول المتنازعة خلال فترة الحرب، وبالتالى لا يحق لإيران المشاركة فى مؤتمر لبحث الصلح بين الدول المتحاربة،بينما كان السبب الحقيقى للموقف البريطانى يكمن وراء المطالب الإيرانية التى تضمنت أموراً كانت تمس المصالح البريطانية بصورة مباشرة، ولأن بريطانيا كانت ترى أن مستقبل إيران يهمها دون غيرها من الدول(.٣)

فلم تكن الحجج البريطانية سوى ستار لإخفاء حقيقة نواياها وخططها بشأن تحويل إيران إلى محمية بريطانية، فبعد إنسحاب روسيا من شمال إيران تطلعت بريطانيا أن تحل محل روسيا فى الشمال الإيرانى وتجعله نقطة إنطلاق لها نحو مناطق القوقاز وما وراء قزوين وحتى نحو آسيا الوسطى وهى جميعها مناطق مغرية من وجهة نظر اقتصادية وإستراتيجية(٤) وعندما لم تتحقق أحلام الأوساط الحاكمة فى لندن، وبعد التطورات التى حدثت فى روسيا بعد ثورة أكتوبر الإشتراكية إزدادت أهمية إيران الإستراتيجية من وجهة نظر بريطانيا ليس لأجل

---

(1) P.Sykes, A history of Persia , Vol,11,P.P518-520

حسين مكى: مختصرى از زندگانى سياسى سلطان احمد شاه قاجارى، ص٧٣-٧٤، على اكبر ولايتى: تاريخ روابط خارجى ايران،ص٧٠، پيتر آورى: تاريخ معاصر إيران ازتاسيس تاانقرض سلسله قاجاريه، ترجمه: محمد رفيعى مهر آبادى، موسسه انتشارات عطاى، چاپ دوم،ج١، ص٤٠١-٤٠٢، ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى إيران وقدرتهاى بزرگ،ص٢٢٢-٢٢٣

(٢)P.Sykes, op, cit,P 520

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين، ص ٣١-٣٢

(٢) كمال مظهر أحمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص١١٢

مواردها النفطية فحسب، التى أخذت تعطى ثمارها وتبشر بالخيرات الكثيرة وإنما أصبحت إيران كجغرافية بذاتها أحد مرتكزات بريطانيا للعمل على تحجيم الشيوعية فى حدود روسيا السوفيتية، ولا ننسى أن إيران كانت لا تزال قائمة فى أذهان مخططى السياسة البريطانية على أنها خطاً دفاعياً عن الوجود والمصالح البريطانية فى الهند.

ولعل هذا ما يفسر لنا تصريح اللورد كيرزن وزير الخارجية البريطانى فى ذلك الوقت عن سعى بريطانيا لتحويل إيران إلى محمية بريطانية إذ قال: " نحن لا نستطيع السماح بوجود مرتع لسوء الحكم ودسائس للعدو وفوضى مالية واحتلال سياسى بين حدود الإمبراطورية الهندية ومحميتنا الجديدة "العراق" بالإضافة إلى ذلك فإننا نملك فى الزاوية الغربية الجنوبية فى إيران موجودات ضخمة على شكل حقول للنفط تعمل لحساب الأسطول البريطانى وتمنحها نفوذاً فى ذلك الجزء من العالم لأن إيران بموقعها الجغرافى بين العراق والهند تعد موقعاً جوهرياً بالنسبة لنا، ونحن نعمل ما بوسعنا لكى لا تقع بأيدى البلاشفة الروس(١)

وهكذا كانت بريطانيا على حد تعبير صحيفة لندن تايمز" تعتبر نفسها الأخت الكبرى لإيران".

ومن أجل كل ذلك عارضت بريطانيا مشاركة الوفد الإيرانى فى مؤتمر فرساى بدعوى أنه لايمثل حكومة لها اعتبار، وأن المسألة الإيرانية تخص شئون بريطانيا وحدها، ولا يجب تداولها بدعوى أن المؤتمر يتعلق بالدول المتحاربة فقط،وأن إيران لم تدخل الحرب، وبالرغم من عرض الوفد الإيرانى لقضيته على بعض الأطراف الدولية المشتركة فى المؤتمر طلباً للمساعدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن بريطانيا عملت بكل ما لديها من سبل على عرقلة مساعى الوفد الإيرانى وموقف الوفد الأمريكى من تلك المساعى، وبالفعل نجحت فى منع إيران من الحصول على مقعد، وحتى من السماح لها بعرض قضيتها فى مؤتمر السلام.

(١) محمود طلوعى: خواندنيهاى تاريخى، ص٤٣٧

المبحث الخامس

الإتفاقية البريطانية الإيرانية عام ١٩١٩م والموقف الإيرانى منها

مارست بريطانيا ضغوطاً على إيران استهدفت من ورائها وضع الساسة الإيرانيين فى موقف يضطرون معه إلى الانصياع لمخططاتها فى المنطقة، فبعد انتصار ثورة اكتوبر فى روسيا، وانتهاء الحرب العالمية الأولى استجدت عوامل إضافية زادت من إهتمام أروقة الخارجية فى لندن بإيران، فإن الخليج العربى الذى تشرف إيران على سواحله الشرقية قد تحول إلى " بحيرة بريطانية"، وتحقق حلم البريطانيين بتحويل العراق المتاخم لإيران إلى شبه مستعمرة تابعة لهم، وازدادت أهمية الهند بالنسبة لمصالحهم فى عالم ما بعد الحرب، بينما ظهر فى الطرف الآخر على الحدود الشمالية الطويلة عدو فكرى من نوع جديد مكان الحليفة السابقة روسيا القيصرية، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تنظر إلى المنطقة بمنظار جديد، وفى حوزتها إمكانات أفضل من السابق للتغلغل فيها.

من هنا فإن المهمة الأولى للدبلوماسية البريطانية فى إيران اصبحت الحفاظ على تبعية طهران للندن واقعياً وقانونياً، وإيجاد مواقع جديدة للمصالح البريطانية فى كل مرفق إيرانى ضرورى ومفيد، على أن يكلف ذلك الخزينة البريطانية أقل ما يمكن بسبب الظروف الصعبة التى كانت تمر بها يومذاك، ولقد صاغ وزير الخارجية البريطانى اللورد كيرزن هذه المهمة فى رسالته التى وجهها الى وزير بلاده المفوض فى طهران بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة كان مضمونها ضرورة تعزيز العلاقات بين بريطانيا وإيران والبحث عن الوسائل التى من شأنها أن تؤدى الى تقدم إيران الى أقصى حد ممكن(١).

ولتحقيق هذه المهمة جند البريطانيون كل ما فى وسعهم، وحركوا أعوانهم من اصحاب السلطة الإيرانيين من أمثال رئيس الوزراء وثوق الدولة المعروف بصداقته المتينة لبريطانيا، ووزير الخارجية حفيد ناصر الدين شاه الأمير نصرت

(١) مقتبس من: احمد كسروى: تاريخ هيجده ساله آذربيجان، ص٨٢٠.

الدولة، وصارم الدولة، الذين تسلموا حسب تأكيدات المؤرخ الإيرانى المعروف ملك الشعراء بهار، مبالغ كبيرة رشاوى من البريطانيين[١].

ولقد لخص نصرت الدولة وجهة نظر هؤلاء الحكام فى تصريح أدلى به إلى جريدة (التايمز) اللندنية، قال فيه: " أعتقد أن إيران غير قادرة على لم شعبها بنفسها فهى تحتاج إلى مساندة قوية جداً، مما دفعها إلى التوجه نحو بريطانيا... إننا لا نستطيع العيش إلا إذا أصلحنا أمورنا، ولا نستطيع أن نصلح أمورنا دون مساندة الصديق الحميم والودود والقوى بريطانيا العظمى"[٢]

وهكذا كان ينظر ساسة إيران إلى تفاقية ١٩١٩م، على أن إيران دولة ضعيفة ووصلت إلى حد الإفلاس الاقتصادى ولابد لها من إسناد الجيش والإدارات الاقتصادية بالدولة إلى المستشاريين الماليين والعسكريين البريطانيين كى يتحقق إرتقاء إيران وتقدمها، بعد أن أصبحت بريطانيا هى صاحبة اليد الطولى أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى[٣]

أما " أحمد شاه" فإنه وقف بحماس إلى جانب عقد المعاهدة التى لم يفكر بنتائجها إلا من خلال إنعكاسها على وضعه المالى الخاص، حتى أنه حذر بشدة المسؤولين الإيرانيين المشتركين فى صياغة مضمون المعاهدة، من مغبة فقدان المعونة المالية التى كانت لندن تقدمها له خصيصاً.

ولم يكن هذا الأمر مستغرباً من ملك كان " يحب الأموال أكثر من أى شئ آخر فى الدنيا" حسبما وصفته وثيقة بريطانية سرية.[٤]

---

(١) ملك الشعراء بهار: تاريخ مختصر احزاب سياسى ايران، جلد اول، موسسه انتشارات امير كبير، چاپ دوم، تهران، ١٣٥٧، ص٣٦

وقد أختلفت المصادر فى تقدير مقدار الرشوة التى استلمها وثوق الدولة ورفاقه لقاء توقيع المعاهدة، فبعضهم يقدرها بـ(٤٠.٠٠٠) تومان أى ما يعادل (١٣١.٠٠٠) ليرة فى حين يقدرها البعض الآخر ب(١٣٠.٠٠٠) تومان وآخرون يقدرونها بـ(٧٥.٠٠٠) تومان، بينما تشير وثيقة بريطانية سرية يرجع تاريخها إلى عام ١٩٢٣م بأن وثوق الدولة واثنين من الساسة الإيرانيين استلموا رشوة مقدارها(١٢٠.٠٠٠)دولار.

انظر محمود طلوعى: خواند نيهاى تاريخى، ص٤٣٧

(٢) S.N. Fatemi, Diplomatic history of Persia 1917,1923,New York , 1959, P84 .

(٣) سيد جلال الدين مدنى: تاريخ سياسى معاصر ايران،ج١، ص٧٥

(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران السياسى الحديث والمعاصر،ص١١١

وفى مطلع العام ١٩١٩م وصل العاصمة طهران وفد بريطانى يضم خبراء متخصصين فى الشرق الأوسط، أمضوا فترة طويلة فيها من أجل وضع الصيغة النهائية للمعادهة المقترح عقدها بين الدولتين(١)، وبعد مفاوضات سرية جرت بين السياسى البريطانى "بيرسى كوكس" حيث كان سفيراً لبلاده فى طهران و "كيرزن" وزير خارجية بريطانيا، وبين رئيس الوزراء الإيرانى "وثوق الدولة" و"أكبر ميرزا" صارم الدولة السلطان وزير المالية ونصرت الدولة وزير الخارجية تم التوقيع بشكل سرى فى ٩ أغسطس من عام١٩١٩م على معاهدة بين الدولتين والتى سميت بمعاهدة المساعدة البريطانية من أجل تقدم إيران ورفاهيتها(٢).

وكالعادة بدأت المعاهدة بعبارات مدبجة، هى فى العادة تشبه مقدمات الاتفاقيات أو المعاهدات التى كانت تعقدها بريطانيا مع الدول التى كانت تسيطر عليها أو تحتلها؛ فقد جاء فى مقدمة المعاهدة التى اشتملت على ستة بنود ما يلى:

" نظراً لعلاقات المودة والصداقة التى تربط بين إيران وبريطانيا، ونظراً للإعتقاد الراسخ بأن المصالح المشتركة والأساسية لهما فى المستقبل لن تتحقق إلا بإحكام هذه العلاقات وتثبيتها، مع ملاحظة وجوب إعداد الوسائل اللازمة لرقى إيران وسعادتها، فقد تم الإتفاق بين الحكومة الإيرانية وسفير صاحب الجلالة ملك بريطانيا على البنود التالية:

١- تتعهد بريطانيا باحترام استقلال إيران وسيادتها.

٢- تتعهد بريطانيا بتقديم الخبراء والمستشارين الإداريين للعمل فى إدارات إيران المختلفة على نفقة الحكومة الإيرانية.

٣- تتعهد الحكومة البريطانية بتشكيل قوة عسكرية موحدة لحفظ النظام داخل الدولة وحراسة حدودها.

٤- تتعهد الحكومة البريطانية بإقراض الحكومة الإيرانية قرضاً من أجل تنفيذ البندين السابقيين الثانى والثالث.

---

(٢) عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين، ص٣٢

(٣) كمال مظهر أحمد: مرجع سابق، ص١١٧

٥- تتعهد الحكومة البريطانية بالقيام بمد خطوط السكك الحديدية وإنشاء الطرق وتطوير وسائل النقل والمواصلات بما يؤدى إلى تأمين الطرق التجارية والحيلولة دون حدوث القحط فى إيران.

٦- تشكيل لجنة مشتركة من كلا الدولتين لمراجعة التعريفة الجمركية وإعادة النظر فيها بما يعود بالنفع على إيران.[١]

وعقدت فى اليوم نفسه إتفاقية ثانية لتقديم قرضا قيمته مليونا جنيه من بريطانيا إلى الحكومة الإيرانية مدته عشرون عاماً بفائدة مقدارها ٧% سنوياً، وقد حددت الضمانات لهذا القرض فى المادة الثالثة من هذه الاتفاقية[٢]، التى جاء فيها" إن جميع العائدات والجمارك المتسلمة التى ترجع إلى عقد الثامن عشر من مايو ١٩١١م المتعلق بإعادة دفع القرض البالغ ١.٢٥٠.٠٠٠ جنيه إسترلينى، تطبق على عملية دفع القرض الحالى مع استمرار جميع الشروط المضمنة فى العقد المذكور، مع إعطاء أولوية له على جميع الديون عدا قرض عام ١٩١١م والقروض اللاحقة التى تقدمها الحكومة البريطانية، وفى حالة عدم كفاية ما ورد أعلاه لتسديد الديون، على الحكومة أن تقوم بتسديد النقص الحاصل من مصادر أخرى، وبهذا القرض فإن الحكومة الإيرانية بهذه الوسيلة تخدم القرض الحالى، وجميع السُلف الأخرى المذكورة، على أن تستمر جميع الشروط الواردة فى العقد آنف الذكر، وأن عائدات الجمارك [٣]من جميع المناطق ستكون تحت تصرفها،

وجاء فى المادة الرابعة الأخيرة من الإتفاقية أن للحكومة الإيرانية أن تعيد تسديد القرض الحالى فى أى تاريخ أو موعد خارج إطار أى قرض بريطانى سيعقد لاحقاً، ووجه "السير بيرسى كوكس" إلى جانب ما تقدم رسالتين

(١) عباس رمضانى: معاهدات تاريخي ايران"صد قرار داد ومعاهده تاريخى از دوره صفويه تا پايان عصر قاجاريه "، انتشارات ترفند، چاپ دوم، ١٣٧٨، ص ٢٦٨-٢٦٩، على اصغر شميم: ايران در دوره سلطنت قاجار، ص٥٨٥، محمود افشار يزدي: سياست اروبا در ايران " اوراقى چند از تاريخ سياسى ديپلماسى "، ترجمه: سيد ضياء الدين دهشيرى، چاپ شركت افست، تهران، ١٣٥٨،ص٢٦٢

(2) S.N.Fatemi,Diplomatic History of Persia ,P.112

(١) المقصود بها جمارك الجنوب وسيستان وكرمنشاه وآذربيجان

مؤرختين فى التاسع من أغسطس ١٩١٩م[١] إلى رئيس وزراء الحكومة الإيرانية وثوق الدولة تضمنتا تأكيدات الحكومة البريطانية للحكومة الإيرانية للتعاون فى الوقت المناسب من أجل تحقيق الغايات الآتية:

١- إعادة النظر فى المعاهدات نافذة المفعول بين البلدين.

٢- التعويض عن الأضرار المادية التى تكبدتها إيران على أيدى دول متحاربة أخرى.

٣- تصحيح حدود إيران فى النقاط التى تم الإتفاق عليها من الأطراف المعنية.

وجاء فى الرسالة الثانية: " إن حكومة صاحب الجلالة لن تطالب جلالة الشاه بكلفة إعاشة القوات البريطانية التى اضطرت حكومة صاحب الجلالة إلى إرسالها إلى إيران بناء على رغبة إيران نفسها فى ضرورة وجود قوة تدافع عن حيادها، على أن لا تطالب الحكومة الإيرانية بالتعويض عن أية أضرار قد يسببها تواجد القوات المذكورة على الأراضى الإيرانية[٢].

وهكذا تحولت إيران بموجب هذه الاتفاقية إلى محمية بريطانية وكانت مسألة استقلال إيران الواردة فى صدر الاتفاق ما هى إلا إطار خادع للعامة، فقد أطاحت به الفقرات التالية عليه من المعاهدة، فإذا أرادت إيران أن تقترض أموالاً، أو تقيم سككاً حديدية، أو تقوم بإستخراج المعادن، أو تقيم المصانع، أو تجهز قواتها المسلحة أو تعبئها، أو إذا أرادت تجريد قوة لآى منطقة فى الدولة فلابد لها أن تأخذ الموافقة من الحكومة البريطانية ممثلة فى مستشاريها الماليين وخبرائها وفنييها وعسكرييها، فهم أصحاب السلطات العليا فى هذه الشئون ومن ثم تصبح الإدارات والمصالح والمؤسسات المدنية والعسكرية تابعة كلها للإدارة البريطانية[٣]، وهكذا أصبحت بريطانيا هى سيدة الموقف تماماً فى إيران.

---

(٢) انظر نص هاتين الرسالتين فى:
احمد كسروى: تاريخ‌هيجده ساله آذربيجان، ص ٨٢٥-٨٢٦، محمد على منشور گرگانى: سياست دولت شوروى در إيران، ص٢٢

(1)S.N. Fatemi , op.cit.P112-113

(٢) محمد على منشورگرگانى: سياست دولت شوروى در إيران، ص٢٢

وقبل أن يقر المجلس المعاهدة حسبما ينص الدستور الإيرانى على ذلك باشر الطرفان بتنفيذ بعض بنودها، بإتخاذ سلسلة من الإجراءات بهدف إقناع الرأى العام بضرورتها، ولإمرارها على المجلس، فقد وجه الملك البريطانى دعوة خاصة إلى " أحمد شاه قاجار" لزيارة لندن، فوصلها فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٩م، بصحبة الأمير "فيروز خان"[١]،

ووصل العاصمة البريطانية أيضاً وزير الخارجية "نصرت الدولة" الذى التقى بعد ساعات معدودة من عودته إلى طهران بالوزير المفوض البريطانى "نورمن " للمداولة بخصوص الوسائل الكفيلة بحمل المجلس على الموافقة على المعاهدة[٢].

كان وقع نبأ عقد معاهدة عام ١٩١٩م شديداً جداً على الجماهير الإيرانية التى كانت تعيش فى حالة فوران سياسى ووطنى عارم، إذ اقتنع كل إيرانى بأن المعاهدة تهدف إلى تحطيم الاستقلال الوطنى، ولقد زاد السوفييت النار اشتعالاً من جانبهم حينما كشفوا لأول مرة عن جوانب مهمة من مناورات البريطانيين بخصوص إيران فى سنوات الحرب العالمية الأولى، بحيث بلغت الكراهية التى بدأت ضد البريطانيين مع عقد إتفاقية التقسيم العام ١٩٠٧م ذروتها مع الإعلان عن عقد المعاهدة الجديدة، فقد كانت تلك المعاهدة كفيلة بإثارة الرأى العام الإيرانى الذى تجاهله "كيرزن" عندما بنى العلاقات البريطانية الإيرانية على الأشخاص فى الحكومة الإيرانية بدلاً من وضع سياسة تتلائم مع الواقع الإيرانى، وبالرغم من أن "كيرزن" ومعه "بيرسى كوكس" كانا يخشيان من المعارضة السياسية لجهودهما إلا أنهما كانا يعتقدان سهولة السيطرة على هذه المعارضة وأن العلاقات البريطانية الإيرانية قد بنيت على أسس ثابتة، وأن أمن وهيبة الإمبراطورية البريطانية قد تم ضمانه فى ذلك، وقد غاب عن بالهما أن البناء الذى أقاموه استندت أسسه على رمال إيران المتحركة لأسباب جوهرية رافقت انعقاد المعاهدة البريطانية الإيرانية لعام ١٩١٩م، أدت مجتمعة إلى

(3) S.N.Fatemi, Diplomatic history of Persia,P.P83-84

(٤) حسين مكى: تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، كودتاى ١٢٩٩، چاپ دوم، موسسه انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٥٨، ص٨٣

تقويض فرص نجاحها وعدم شرعيتها،ومن ثم إلغائها بعد عامين، ومن بين تلك الأسباب إخفاق" كيرزن" فى تقدير التغييرات النفسية لدى الشعب الإيرانى، وإدارة المفاوضات الخاصة بالإتفاقية بسرية تامة، وأن الإتفاقية كانت تحتاج إلى مصادقة المجلس الإيرانى عليها، وأن مسألة الإنتخابات فى إيران تأخذ وقتاً طويلاً وأن القوى المناهضة للإتفاقية سيكون لديها متسع من الوقت لتوحيد صفوفها والوقوف ضد الإتفاقية التى استخدمتها القوى الوطنية وسيلة لإثارة الروح القومية فى إيران وإضعاف موقف الحكومة(١)

رد الفعل الإيرانى حول إتفاقية ١٩١٩م:

لم يغفر الإيرانيون لبريطانيا خيانتها لقضيتهم عندما أسهمت على نحو فعال فى تقسيم بلادهم فى عامى ١٩٠٧م، ١٩١٥م بينها وبين روسيا القيصرية، وهم يحملون البريطانيين مسئولية ما لاقوه من اضطهاد على أيدى الروس، وقد تعززت هذه القناعة عندما نشرت روسيا السوفيتية فى نوفمبر من عام ١٩١٧ بنود الاتفاقية السرية المعروفة باتفاقية القسطنطينية الموقعة فى ١٨ مارس عام ١٩١٥م التى جعلت المنطقة المحايدة فى إيران تحت هيمنة النفوذ البريطانى(٢).

وفى عام ١٩١٩م وفى الوقت الذى كان فيه العديد من الإيرانيين يزدادون شكوكاً تجاه دوافع السياسة البريطانية كان قسم يرى أن المشروع البريطانى للسيطرة على إدارة المالية والجيش والاقتصاد فى البلاد ما هو إلا إشارة واضحة لتحويل إيران إلى محمية بريطانية واحتلالها، ولهذا كان احتجاج الإيرانيين عند إعلان بنود الإتفاقية شديداً جداً لأنها سلمت " مفاتيح السيطرة على المال والسلاح" فى إيران إلى بريطانيا، وحملوا الحكومة الإيرانية مسئولية عقد الاتفاقية، فقد نظر أغلبهم إلى الاتفاقية على أنها فى الواقع "إنتداب لبريطانيا على إيران" وعلى أثر ذلك فقد عم طهران والمدن الإيرانية غليان سياسى ضد الاتفاقية(٣)

---

(١)S.N. Fatemi,Diplomatic History of Persia, op.cit.PP85-86

(1) S.N. Fatemi,Diplomatic History of Persia,P.41،

عبد السلام عبد العزيز فهمى: تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين،ص٣٢

(٢) عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار ساله ايران، جلد چهارم، ص٢٠٧

وبالرغم من أن الحكومة البريطانية قامت بحملة دعائية هدفها امتصاص رد الفعل الشعبى لجعل الاتفاقية مقبولة لدى الإيرانيين، إلا أن الإيرانيين كانوا أقوى من أن يمنعهم مثل هذا الإجراء؛ فاستمروا بالتظاهر ضد الحكومة وضد السياسة البريطانية فى البلاد، فعمت المظاهرات الصاخبة مختلف المدن الإيرانية ولاسيما طهران، حيث رفع المتظاهرون شعارات تندد بالمعاهدة والشاه ورئيس وزرائه وثوق الدولة، وأغلقت الأسواق والحوانيت أبوابها واعترض تجار المناطق الشمالية بقوة على عقد المعاهدة التى رأوا فيها مناورة بريطانية لتحويل الطرق التجارية باتجاه بغداد وأروبا، كما انتحر عدد من الضباط الإيرانيين تعبيراً عن سخطهم على عقد المعاهدة(١)

وقد انعكست موجة السخط العارمة هذه على مواقف الصحافة والقوى السياسية الإيرانية فقد كتبت صحيفة " ستاره" (النجمة) فى عددها ١٦ أكتوبر عام ١٩١٩م تحت عنوان إنهيار القيادة الأخلاقية: " أن ما جابه إيران فى باريس ويجابه الإيرانيين فى طهران الآن هو إنهيار القيادة الأخلاقية... إن إيران حالياً فى موقف حرج وإن استقلالها معرض للتهديد فى حين أن أعضاء الحكومة يغامرون سياسياً بوجود البلاد"(٢).

وقالت صحيفة " آفتاب" (النور) فى عددها الصادر فى ٦ أكتوبر ١٩١٩م" أن المشاعر والأفكار الوطنية تختبئ فى قلوب جميع الإيرانيين وأنهم يحتاجون إلى من يدعوهم لكى يشعلوا الشرارة الأولى ولكن هل يوجد فى طهران الآن من يستطيع أن يؤجج مشاعر الناس، ويدعوهم إلى مقاومة ما يحدث بعيداً عن العبارات الرنانة التى يجبر على قراءتها الناس يومياً فى صحف الحكومة صباحاَ ومساءاً والتى تصور الأمور وكأنها على ما يرام، فى حين أن أغلبية الناس مايزالون يعتقدون أن الإتفاقية ليست أكثر من كارثة وطنية،وما هى إلا مقدمة للسيطرة البريطانية على إيران" وأضافت تقول": أين الرجال الذين يدافعون عن حقيقة وشرف ومجد إيران؟"(٣)

---

(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر،ص ١١٨، آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين،ص٤٦-٤٧

(2) S.N. Fatemi, Diplomatic history of Persia, op.cit,P73

(3) S.N. Fatemi, op.cit, P74

كمال مظهر احمد: مرجع سابق، ص١١٨

وعبثاً حاول رئيس الوزراء وثوق الدولة إقناع الشارع الإيرانى بصحة سياسة حكومته من وجهة نظره هو، فقد نشر بهذا الخصوص عدداً من المقالات فى بعض الصحف الصادرة فى طهران(١)،

وفى محاولة لتهدئة الغضب الشعبى المتصاعد لجأت الحكومة الإيرانية إلى إعلان الأحكام العرفية،وإستخدام القوة ضد المعارضين وإعتقال العديد من السياسين البارزين أو إبعادهم عن العاصمة،ولكن الأعمال القمعية التى قامت بها الحكومة ضد قوى المعارضة بالرغم من تحجيمها للنشاط المعارض إلا أن المشاعر المناهضة للإتفاقية لم تنته (٢)، وما عزز من إجراءات الحكومة الإيرانية وجود القوات البريطانية فى البلاد التى فرضت رقابة مشددة على التحركات الشعبية فى المدن الإيرانية(٣).

قوبلت الأعمال القمعية التى تعرضت لها الحركة الوطنية فى إيران من قبل الحكومة بهجوم عنيف شنته الصحافة الإيرانية على وثوق الدولة،ومن أمثلة ذلك المقالة التى نشرتها صحيفة " ستاره" فى عددها ٨ ديسمبر عام ١٩١٩م، واتهمت فيها رئيس الوزراء وأعضاء وزارته بالفساد والخيانة وبقلة الإيمان ببلدهم(٤).

ولم تكن الصحافة الإيرانية وحدها التى شنت الهجوم على وثوق الدولة فقد شاركها فى ذلك بعض الشخصيات الإيرانية من بينها الشاعر الوطنى" ميرزاده عشقى" الذى إنتقد بأسلوب شديد وثوق الدولة حيث خاطبه قائلاً: " إن إيران ليست من ممتلكات أبيك وإنما هى دولة مستقلة يملكها الشعب الإيرانى، إحذر من يوم ينتفض فيه الشعب، وأن ذلك اليوم لقريب وأن شعب إيران يصلى من أجله(٥)

---

(١) احمد كسروى: تاريخ‌هيجده ساله آذربيجان، ص٨٢٢، على اصغر شميم: ايران در دوره سلطنت قاجار، ص ٥٧٢

(٢) احمد كسروى: مرجع سابق،ص ٨٢٢، حسين مكى: مختصرى از زندگانى سياسى سلطان احمد قاجار،ص٦٢، عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار ساله ايران،ص٢٠٧

(٣) حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسى، ج٤، ص٣٥-٣٦

(4) S.N.Fatemi, Diplomatic History of Persia P75

(1) S.N. Fatemi,Diplomatic History of Persia,P77

استمرت حالة العداء للاتفاقية بين الشعب الإيرانى وأخذت فى التصاعد يوماً بعد يوم، ولم يثن الوطنيين الإيرانيين فى قضيتهم تجاهل رئيس الوزراء للدستور وتعليق الحريات الشخصية، واعتقال زعماء المعارضة، وسرعان ما تخطت شعارات الحركة الوطنية حدود إلغاء المعاهدة، فقد ظهر شعار جديد يطالب بخروج بريطانيا من البلاد بوصفها عدو لدود يجب إقتلاعه بأى ثمن، وما شجع الوطنيين على مواصلة نضالهم حتى النجاح المعارضة الدولية للإتفاقية البريطانية الإيرانية لعام ١٩١٩م.

فقد عارضت فرنسا الاتفاقية بشدة فمعنى أن تسلم الحكومة الإيرانية جيشها لإدارة الضباط البريطانيين، وماليتها لإشراف الخبراء البريطانيين،فإنها تتخلى عن وسيلة التعبير عن سيادتها السياسية وشرعية وجودها، كما أعلن أيضاً الاتحاد السوفيتى حليف بريطانيا السابق معارضتة للمعاهدة البريطانية الإيرانية لعام ١١٩١٩م، ووجه نداء إلى الشعب الإيرانى بجميع فئاته يعلن فيها عدم اعترافه بالمعاهدة التى تستعبد الشعب الإيرانى، وتسيطر على موارده برغم إرادته، وكذلك كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية التى عارضت أيضاً بشدة المعاهدة البريطانية الإيرانية والتى عدتها بمثابة وصاية مفروضة على إيران(١).

وتفاقمت الأوضاع الأقتصادية سوءاً وانتشر الاضطراب والعصيان فى أرجاء البلاد وظهرت فى كل بقعة من إيران دويلات وطوائف وبرز المتمردون على السلطة المركزية فى جميع أنحاء إيران لأسباب مختلفة(٢).

وفى مثل هذه الظروف التى خلفها الوطنيون أصبح من العسير على الحكومة الإيرانية السيطرة على الأوضاع الداخلية غير المستقرة، حيث لم تشهد أى مرحلة فى تاريخ إيران إضطرابات ومشاكل أنصبت جميعها فى وقت واحد على كاهل الشعب الإيرانى كالمرة الواقعة بين أغسطس عام ١٩١٩م وديسمبر عام ١٩٢٠م(٣).

---

(٢) آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص ٤٧ -٤٨

(٣) لمعرفة المزيد انظر:

حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسى،ج٤، ص٣٨ - ٣٩

(1) S.N. Fatemi, Diplomatic hisroty of Persia, op.cit, P94

وفى تلك الأثناء عاد " أحمد شاه" إلى إيران بعد انتهاء رحلته إلى أوربا، وقد عبر الشاه أثر عودته عن تأييده للمعاهدة البريطانية الإيرانية وعن وقوفه إلى جانب رئيس الوزراء وثوق الدولة على الرغم من قناعته بأن أعداءه كثيرون وبأنه لا يتمتع بأى شعبية، مما أدى إلى إذكاء نار المعارضة القوية التى تعدت مقاومة المعاهدة ووزارة وثوق الدولة بأن أصبحت تستهدف وجود النظام برمته، وهكذا توتر الوضع الداخلى فى إيران إلى درجة بحيث غدا البريطانيون يخشون أن تعصف المعارضة برأس" صاحب الفخامة رئيس الوزراء" بل وحتى برأس" صاحب الجلالة الشاه نفسه"،وبما أن ذلك يعنى إحداث ثغرة خطيرة للغاية فيما يتعلق بمخططات الانجليز بالنسبة لمنطقة حساسة وواسعة من العالم، فكان على الحكومة البريطانية أن تلجأ إلى إجراءات عاجلة لمعالجة الموقف(١).

تمثلت تلك الإجراءات فى إحداث تغييرات معينة فى مجمل السياسة البريطانية تجاه إيران، وقد وضع "نورمن" الخطوط الأساسية لتلك السياسة الجديدة من خلال برقيته التى بعثها من طهران إلى "كيرزن" وزير الخارجية البريطانى بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٢٠م، فبعد أن تطرق "نورمن" فى برقيته إلى الوضع البائس الذى وصل إليه رجلهم الأول فى إيران " وثوق الدولة" وإلى " فشل سياسته الداخلية" التى "خلفت إستياء عاماً" وأدت إلى إنتفاض " ثلاث مقاطعات فى الشمال" يقول: " اعتقد أن يخلف وثوق الدولة يجب أن يكون شخصاً يستمر فى اتباع سياسته الخارجية فيما يتبنى سياسة أخرى داخل البلد، ويجب أن يكون راغباً فى العمل مع القوميين وفى نيل مساعدة شعبية"(٢).

ووقع إختيار " نورمن" على الشخصية الليبرالية " مشير الدولة" لتوفر الشروط المذكورة فيه حسب قناعته، وعندما عرض الأمر على الشاه أكد الأخير بأنه مقتنع كلياً بكل كلمة ذكرها " نورمن" بهذا الأمر، وبالفعل قدم وثوق الدولة فى ٢٣ يونيو ١٩٢٠م إستقالة وزارته إلى أحمد شاه بعد أن أمضى فى الحكم سنة وعشرة أشهر بدعم من البريطانيين.(٣)

(٢) كمال مظهر احمد: دراست فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص١٢٠-١٢١
(١) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ،ص ١٢٢
(٢) كمال مظهر احمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ص١٢٢

ووافق الشاه على الاستقالة واستقبل على الفور" مشير الدولة" الذى كلف بتشكيل الوزراة الجديدة، وبمجرد تولى "مشير الدولة" رئاسة الوزارة إجتمع بإذن من الشاه مع "نورمن" الوزير البريطانى المفوض فى طهران، إستعرض خلالها الطرفان تفاصيل برنامج الوزارة المقبلة وقيما أعضائها فرداً فرداً، وفى اليوم التالى أرسل "نورمن" برقية مستعجلة إلى وزير الخارجية البريطانى "كيرزن" ذكر فيها أن من بين الذين اقترحهم "مشير الدولة" ليشتركوا فى وزارته اثنان من القوميين البارزين هما " مستوفى الممالك" بسبب تأثيره الكبير لثقة الشعب به، و" مخبر السلطنة" بسبب نفوذه الكبير فى آذربيجان، وقد وصفهما " نورمن" فى برقيته قائلاً:" فى الواقع إنهما بالضبط من نريدهما لأنهما يستطيعان أن يساعدا أكثر من أى شخص آخر على ترويج سياستنا،وإننى على علم بأنهما مهتمان بأن يصبحا صديقين لبريطانيا بالطبع... إن بالإمكان تأليف حكومة رجعية من دونهما أو من دون من هم على شاكلتهما إلا أنها سوف تخرب قضيتنا[١].

وقد اجتمع السفير البريطانى مع "مشير الدولة" ثانية فى اليوم التالى واتفقا على صيغة البند الخاص بالمعاهدة البريطانية الإيرانية فى البيان الوزارى المزمع نشره، فمن أجل إمرار المعاهدة تقرر خلال الإجتماعيين إيقاف تنفيذ كل ما يتعلق بها وقتياً وإجراء إنتخابات جديدة لأعضاء المجلس بسبب عدم قناعة الرأى العام بالإنتخابات التى أجرتها الحكومة السابقة، ومن ثم عرض المعاهدة على المجلس الجديد بعد ذلك لإقرارها طبقاً للمادة الرابعة عشر من دستور عام ١٩٠٦م.[٢]

وهكذا أراد البريطانيون أن يتبع رئيس الوزراء الجديد "مشير الدولة" الذى ألف وزارته بعد وثوق الدولة نفس سياسة سلفه على الصعيد الخارجى فيما يتبنى سياسة داخلية أخرى تفضى إلى التعاون مع القوميين بمعنى أنهم أرادوا

---

(٣) كمال مظهر احمد: مرجع سابق،ص١٢٣

(١) تنص هذه المادة على " أن توقيع الإتفاقيات والمعاهدات ومنح الإمتيازات التجارية والصناعية والزراعية وغيرها بدون التفرقة بين تلك التى تعود إلى الإيرانيين أنفسهم أو إلى رعايا أجانب، يجب أن تخضع لمصادقة المجلس بإستثناء تلك الإتفاقيات التى تقتضى مصلحة الدولة أو المصلحة العامة إبقائها سرية".

منه إمتصاص النقمة الجماهيرية وإقناع الشارع ومن ثم المجلس بضرورة قبول المعاهدة.

من أجل ذلك ووفقاً لإتفاق " مشير الدولة" مع " نورمن" صرح " مشير الدولة" حال تسلمه الحكم بأن " المعاهدة ستظل معلقة بجميع بنودها ما لم تصدق من قبل المجلس، ولذلك يجب اعتبار الاتفاقية بحكم " المعلقة" وأن جميع المستشارين الذين تم تعينهم بموجبها يجب وقفهم عن ممارسة أعمالهم"(١).

بعد أن تم تعليق العمل بالاتفاقية، قام "مشير الدولة" بوضع خطة لإعادة الأمن والنظام فى إيران، وعين الكولونيل الروسى" ستوروسليسكى" Istoroselski قائداً عاماً للقوات الإيرانية وأمره بالتحرك نحو " مازندران" الذى نجح فى إستعادتها من أيدى البلاشفة (٢)، وفضلاً عن ذلك إتخذت الحكومة الجديدة بعض الخطوات بهدف تحسين العلاقات مع الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، فيما نراها تبقى عاجزة عن مقارعة الحركات الثورية فى الداخل،فأثار ذلك حفيظة البريطانيين، فتعليق الإتفاقية والطلب من المستشاريين والخبراء البريطانيين ترك عملهم فى إيران إلى حين المصادقة على الاتفاقية، إلى جانب تعيين الروسى ستوروسليسكى" قائداً عاماً للقوات الإيرانية، فضلاً عن محاولة تحسين العلاقات مع الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، كل ذلك أوضح للحكومة البريطانية بأن حكومة "مشير الدولة" ترغب فى التحرر من المساعدة البريطانية، وقد طالب الوزير البريطانى"نورمن" بإبعاد الضباط الروس الموجودين فى الخدمة لدى الحكومة الإيرانية، وإلا فإن بريطانيا ستوقف مساعداتها لإيران وتتحمل حكومة "مشير الدولة" النتائج، ولكن رئيس الوزراء الإيرانى كان مقتنعاً أن الوقت غير ملائم للإستجابة لذلك الطلب فرفض صراحة الطلب البريطانى مؤكداً للوزير البريطانى" أن بإمكان إيران مقاومة أى ضغط أجنبى وأنها لن تسمح بالتدخل فى شؤونها الداخلية"(٣)، بل وطالب أيضاً الجانب البريطانى بدفع مستحقات إيران من عوائد بترول الجنوب والتى لم تدفع منها بريطانيا شيئاً لإيران.

---

(٢) حسين مكى: تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، ص٤٨

(3) S.N. Fatemi, Diplomatic history of Persia, op.cit, P107

(1) S.N. Fatemi، Diplomatic history of Persia,P109

وكان الرد البريطانى على رفض الدولة هو إلغاء المساعدات المقدمة للحكومة الإيرانية، وأخبر الوزير المفوض البريطانى فى طهران أنه فى ضوء السلوك المعادى الذى اتخذه رئيس الوزراء فإن الحكومة البريطانية لم تعد مستعدة لتقديم المساعدة إلى إيران، واشترطت لإستئناف تقديم المساعدات إلى إيران والحفاظ على استقلالها، المصادقة على الإتفاقية البريطانية الإيرانية،وأن من مصلحة إيران قبول الشروط البريطانية لأن بريطانيا ستبذل كل جهودها من أجل أن تؤمن لإيران استقلالها،وأنها غير مسئولة عن تحمل نتائج تقع مسؤوليتها على عاتق الحكومة الإيرانية، وكان هذا بمثابة التهديد الموجه من الحكومة البريطانية إلى حكومة "مشير الدولة" التى اضطرت إلى تقديم إستقالتها ولم يمض عليها سوى أربعة أشهر تنفيذاً لرغبة بريطانيا التى لم تغفر لمشير الدولة ما فعله.(١)

كلف الشاه " أحمد سردار منصور" المشهور "بسپهدار رشتى" فى الثالث عشر من نوفمبر من نفس العام بتشكيل الحكومة الجديدة، ولكن الوزارة الأخيرة فشلت كسابقتها فى إقناع البرلمان بالتصديق على المعاهدة البريطانية الإيرانية، كما أن سوء أحوال البلاد كان أقوى من الساسة الذين تسلموا مقاليد الحكم فى البلاد، وأمام هذه التطورات الخطيرة ومع انتشار شائعات هجوم البلاشفة على العاصمة " طهران" إنتاب أحمد شاه هلعاً شديداً وحاول الشاه الإيرانى الهروب من إيران إلى أوروبا إلا أن السفير البريطانى استطاع إقناع الشاه فى نهاية الأمر بالعدول عن فكرة الهرب والبقاء فى العاصمة(٢)، لأن حدوث أى تغير مفاجئ فى نظام الحكم سيضيف عراقيل ليست فى صالح السياسة البريطانية آنذاك.

فقد جرت مراسلات بين الخارجية البريطانية ووزيرها المفوض فى إيران "نورمن" كان الغرض منها الضغط على الشاه للعدول عن فكرة الهرب إلى الخارج،ومن ذلك البرقية رقم ٦٢٦ المبعوثة من الوزير البريطانى المفوض " نورمن" إلى اللورد " كيرزن" بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٢٠م والتى يتحدث فيها "نورمن" عن أحمد شاه قائلاً:" مما لاشك فيه أنه يعانى من مشاكل نفسية

(2) S,N. Fatemi، Op. cit,P109،

عبد الرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجى ايران،ص ٣٦٧- ٣٦٨

(١) آمال السبكى: تاريخ إيران السياسى بين ثورتين، ص٤٩

وعصبية، لكننى أعتقد أن تعبه هو نتيجة شعوره بالخوف فقط، ومن المحتمل أن هدفه الحقيقى من مغادرة البلاد هو أن يكون فى مكان آمن إذا ما حدثت إضطرابات فى البلاد... ويضيف "نورمن" أن الشاه سألة عما إذا كانت حكومة صاحب الجلالة سوف تظل إلى جانب إيران أم لا"؟ ويتمنى إذا سافر أن تزول أسباب الخطر ويعود إلى إيران مرة أخرى، أما إذا سمح الإنجليز للبلاشفة بمهاجمة إيران فإنه سوف يظل فى أوروبا" (١).

ومع تدهور الأوضاع الداخلية فى طهران ووجود حكومات ضعيفة وشاه أكثر ضعفاً وجبناً بدأت الحكومة البريطانية تتخوف من تيار جارف قد يعصف برؤوس النظام الذين يؤمنون مصالحهم، وكان على رأس تلك المخاوف ضياع إيران فى متاهات الحركات الثورية،والتى قطعت شوطاً فى إندفاعاتها إلى الحد الذى كادت فيه أن تعصف بالمخططات البريطانية،وعمقت من إستياء الجماهير ضدها، لذلك بدأ نشاط محموم خلف الكواليس السرية فى بريطانيا لإستبدال الوجوه القديمة الضعيفة بأخرى جديدة قوية بدأ نجمها يبزغ فى سماء إيران، وجوه بمقدورها أن تنقذ البلاد الغنية بثرواتها والمهمة بموقعها الجغرافى من خطر الضياع بعد وصول النظام القاجارى إلى الانحلال، وتحوله إلى عبء ثقيل على عاتق الجماهير الإيرانية.(٢)

الخاتمة:

يمكن التوصل إلى بعض الاستنتاجات من خلال دراسة العلاقات الإيرانية البريطانية فى سنوات الحرب العالمية الأولى أهمها:

١- تحولت إيران إلى أداة بيد الدول الكبرى وكانت تتحرك فى اطار مصالحها إلى حد كبير عشية الحرب العالمية الأولى التى عمقت أحداثها تبعية إيران أكثر،وجراء ذلك تحولت إيران طيلة سنوات الحرب إلى ميدان مهم من ميادين القتال فى جبهة الشرق الأوسط،فلم يعر احد أهمية ما لأعلان طهران الحياد رسميا فى بداية اقتراب نيران الحرب من إيران إثر انضمام الدولة العثمانية إلى دول الوسط.

(٢) ژنرال سرادموند ايرونسايد: خاطرات وسفرنامه ژنرال ايرونسايد، ترجمه بهروز قزوينى، نشر آينه، طهران،١٣٦١،ص١٤٢

(٢) حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسى،المجلد الرابع، ص ٣٨-٣٩

٢- اصبحت إيران حتى عام ١٩١٧ م محتلة فى الواقع من قبل القوات الروسية والبريطانية،فامتد النفوذ الروسى بذلك إلى حد آصفهان فيما شمل النفوذ البريطانى كل ما تبقى من البلاد،فأصبحت سلطة الشاه وحكومته اسمية بكل ما فى الكلمة من معنى،إذ أن وزيرى روسيا وبريطانيا فى طهران وقادة قواتهما فى أقاليم إيران غدوا يسيطرون على زمام الأمور فى البلاد،حتى وقعت ثورة أكتوبر فى روسيا عام ١٩١٧ م وأصبح زمام الأمور فى إيران بيد بريطانيا فقط.

٣- حولت نتائج الحرب العالمية الأولى على الصعيدين الداخلى والخارجى إيران إلى فريسة أمام أطماع بريطانيا،خاصة بعد إنتهاء روسيا القيصرية،كما جلبت لها أنظار قوى كبرى جديدة أكثر من السابق،تأتى الولايات المتحدة على رأسها،وقد تحول كل ذلك إلى عوامل أساسية لتحريك الحياة السياسية فى إيران مع انتهاء الحرب مباشرة.

٤- كشفت أحداث الحرب العالمية الأولى ونتائجها الوخيمة الأوساط السياسية التقليدية الإيرانية أكثر من السابق،فقد فقدت ما تبقى لها من رصيد قليل فى نظر الجماهير والقوى الوطنية فى البلاد،مما تحول إلى عامل اضافى لتعرية النظام القاجارى،وهيأ الطريق لإسقاطه بعد انتهاء الحرب بسنوات قليلة،كما أدى الأمر نفسه إلى نمو المعارضة الوطنية،وبحكم كل ذلك بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ إيران مع إنتهاء الحرب العامية الأولى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

١- دونالد ولبر: ايران ماضيها وحاضرها، تعريب: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢- سعيد الصباغ: تاريخ ايران السياسي جذور التحول (١٩٠٠– ١٩٤١م)، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣- طلال مجذوب:إيران من الثورة الدستورية وحتى الثورة الأسلامية (١٩٠٦-١٩٧٩ م)،بيروت،١٩٨٠ م.

٤- عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي، الجيزة، ١٩٧٣م.

٥- عبدالعزيز سليمان نوار: الشعوب الاسلامية في التاريخ الحديث، طبع ونشر مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٣م.
٦- كمال مظهر احمد: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥م.

ثانياً: المصادر والمراجع الفارسية:

١- ابراهيم صفائي: رهبران مشروطه، دوره اول، انتشارات جاويدان علمى، تهران، ١٣٤٤ش.
٢- احمد كسروى: تاريخ هيجده ساله آذربيجان، تهران، ١٣٣٣ش.
٣- ايرج ذوقى: تاريخ روابط سياسى ايران وقدرتهاى بزرگ (١٩٢٥–١٩٠٠)، بخش أول، شركت انتشاراتى باژنك، چاپ اول، تهران، ١٣٦٨.
٤- پيتر آورى: تاريخ معاصر ايران از تاسيس تا انقراض قاجاريه، ترجمه: محمد رفيعى مهر آبادى، موسسه انتشارات عطاي، چاپ دوم، ١٣٧٣ش.
٥- جهانگيرقائم مقامى: تاريخ تحولات سياسى نظام ايران "از آغاز قرن يازدهم هجرى تا سال ١٣١٠"، چاپ اول، تهران، ١٣٢٦.
٦- حبيب الله شملوئى: تاريخ ايران از ماد تا پهلوى، انتشارات بنگاه، مطبوعاتى صفى عليشاه، تهران، ١٣٣٧ ه.ش.
٧- حسن اعظام قدسى: كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صد ساله "اعظام الوزارة"، جلد أول، چاپخانه حيدرى، تهران، ١٣٤٢.
٨- حسين مكى: تاريخ بيست ساله ايران،جلد اول،كودتاى ١٢٩٩،چاپ دوم،مؤسسه انتشارات امير كبير،تهران،١٣٥٨.
٩- حسين مكى: مختصر از زندگانى سياسي سلطان احمد شاه قاجار، "بضميمه چند برده از زندگانى داخلى وخصوصى او"، تهران، ١٣٢٣.
١٠-ژنرال سرادموند آيرونساید: خاطرات وسفر نامه ژنرال ايرونساید، ترجمه: بهروز قزوينى، نشر آينه، تهران، ١٣٦١.
١١- سيد جلال الدين مدنى: تاريخ سياسى معاصر ايران،جلد اول،دفتر انتشارات اسلامى،تهران،١٣٦٦.
١٢-عباس رمضانى: معاهدات تاريخى "صد قرار داد ومعاهده تاريخى از دوره صفويه تاپايان عصر قاجاريه، انتشارات ترفند، چاپ دوم، ١٣٨٧.

١٣- عبد الرضا هوشنگ مهدوی: تاريخ روابط خارجی ايران ، چاپخانه سپهر، تهران، ١٣٣٩.
١٤- عبدالله رازی: تاريخ كامل ايران "از تاسيس سلسله ماد تا عصر حاضر"، چاپخانه اقبال، چاپ چهارم، تهران، ١٣٤٧.
١٥- علی اكبر ولايتی: تاريخ روابط خارجی ايران دوران ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه، چاپ دوم، تهران، ١٣٧٥.
١٦- محمد تمدن: اوضاع ايران در جنگ اول، تاريخ رضائيه، تهران، ١٣٥٠.
١٧- محمد جواد مشكور: تاريخ ايران زمين از روزگار باستان تا عصر حاضر، تهران، ٢٥٣٦ ش.
١٨- محمد علی منشور گرگانی: سياست دولت شوروی در ايران از ١٢٩٦ تا ١٣٠٩، جلد اول، چاپخانه مظاهری، تهران، ١٣٢٦ ه.ش.
١٩- محمود افشار يزدی: سياست اروبا در ايران " اوراقی چند از تاريخ سياسی ديپلماسی "، ترجمه: سيد ضياء الدين دهشيری، چاپ شركت افست، تهران، ١٣٥٨ ه.ش– ١٣٧٩م.
٢٠- محمود طلوعی: خواندينهای تاريخی، تهران، ١٣٧٨.
٢١- مصطفی فاتح: پنجاه سال نفط ايران، شركت سهامی چاپ، تهران، ١٣٣٥.
٢٢- ملك الشعراء بهار: تاريخ مختصر احزاب سياسی ايران، جلد اول، موسسة انتشارات امير كبير، چاپ دوم، تهران، ١٣٥٧.
٢٣- يحی آرين پور: از صبا تا نيما، جلد دوم، انتشارات زوار، چاپ پنجم، تهران، ١٣٧٢.

ثالثاً: المراجع باللغة الانجليزية:

1– Fatemi N. S, Diplomatic History of Persia 1917–1923, New york, 1959.
2– Sykes S.P, Ahistory of Persia, Vol. II Third Edi, London, 1958.